Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الإمام علي عليه السلام

قدوة وأسوة

الإمام علي عليه السلام

قدوة وأسوة

للصحيب

(ARAB)
BP193
.1
.A3M823
1987
(RECAP)

اسم الكتاب : الامام على قدوة وأسوة
المؤلف : العلامة السيد محمد تقي المدرسي
الناشر : مكتب العلامة المدرسي
الطبعة : الأولى جمادي الثاني ١٤٠٧ هـ ق
عدد النسخ : ٣٠٠٠
المطبعة : مظاهري
الثمن : ١٥٠ ريال

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
[redacted]
[redacted]5
٥٢٥ 1364

المقدمـــة

ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ

الحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

حين يقف المرء على محيط بعيد الشواطىء ، عالي الموج يتردد كثيراً قبل ان يخوض غماره ؟

كذلك ترددت ، قبل ان أقرر الكتابة حول أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، بل بيَّضت بعض الاوراق قبل عشرين عاماً بحياة امام المتقين ، ولمّا أكملها ، حتى اليوم ولولا اني فرضت على نفسي ذلك ، بالنذر لما اقتحمت هذه العقبة ؟

ولكن ، اذا كانت حياته بحراً زخاراً واسع الاطراف ، افليس يخسر من لا يبل غليله منه ولو بقطرة .

فهذه السحب الخيرة لا تزال تروي الاراضي الموات ، اكثر من الف عام فيحيها الرب بها افلا اعرض قلبي لها فلعل الله يحييه فيما يحيي ؟

حياته الفذة التي يكاد لا تنتهي عبرها افلا اجعلها نبراساً في ظلمات دهري ؟ بلى .

وإلتزاماً مني باسلوب هذه السلسلة (قدوة وأسوة) اجتهدت في لملمة اطراف الموضوع قدر المستطاع ، أسأل الله ان يوفقني بفضله لأتمام المشروع ، إنه ولي التوفيق .

• الفصل الاول

■ الأصل الكريم والميلاد المبارك

● وليداً عظيماً :

كانت مكة تحتفل بالوافدين الى زيارة بيت الله الحرام .. في **الشهر** الحرام ، رجب الاصم وكان الوفود الكرام ، يؤدون مناسك البيت ، و يطوفون حوله ، و ينادون ربهم حيناً ، والاصنام أحياناً وكانت هنالك امرأة كريمة ، تطوف ولكن لا كما يطوفون ، لقد كانت تتجه الى الله وحده فتغمر نفسها ضراعة المتبتل ، وخشوع المحتاج ، ووقار المطمئن الى فضل الله ، تدعو الله وحده ، وتسئله ان يخفف عنها **وطأة ما تخافه وتحذره .**

لقد كانت أماً لثلاثة ابناء و بنت واحدة ، ولكن لم يشتد بها المخاض ولا عصر اعصابها كما هذه المرة .

دعت ، فألحت في الدعاء لعل الله يخفف عنها آلام الطلق ، وتضرعت

فابلغت في التضرع ، وفي الجانب الغربي من البيت ، اذ اجتمع طائفة من الحجاج ، حدث أمر عجيب :

لقد كانت في أخريات شوطها ، عند مقترب الركن اليماني ، اذ انشق لها جانب البيت وكأن نداءاً خفياً يدعوها ان ادخلي بيت ربك !

دخلت البيت ، والناس يشهدون في ذهول و يصيحون ، صيحة العجب فيتقاطر عليهم سائر الطائفين ، يسئلون عنهم الحدث ، من هذه السيدة ؟ .. التي كانت الساعة تطوف انها حفيدة هاشم بنت أسد ، زوجة ابي طالب والدة ام هاني وطالب وعقيل وجعفر ، انها فاطمة .

ويجتمع الناس وبينهم الزعماء والاشراف .. و بعدة مدة ، ينشق الجانب ذاته .. فتهلل وجوه الحاضرين كما يتهلل وجه الوليد العظيم ، وهو يتقلب على أذرع الوالدة الكريمة .

انه حادث فريد من نوعه ، ان ينشق طرف البيت ، فتدخل الحامل وتلد في مركز الاشعاع الروحي والبركة الالهية ، بيت الله الحرام ، الذي يعتبر اقدس محل « يحترمه العرب » .

وانها لكرامة لبني هاشم ، على قريش ، ولقريش على العرب ان يوليهم رب البيت بهذه العناية فيسمح لامرأة منهم ان تضع حملها ببطن

بيته ، مكرماً ومعظماً .

وسرت البشرى .. في بيوت الهاشميين .. وانطلقت نساؤها تزف تهانيها الى فاطمة معجبة مغرمة .. وجاء الزعماء يبشرون ابا طالب بالوليد العظيم ، ومن بين هؤلاء .. فتى يهمه امر الوليد اكثر من غيره . ينظر اليه لا كما ينظر الرجال الاخرون .. انه محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وآله ــ الذي لم يزل يحسب من عائلة ابي طالب ، فاذا تناول الوليد ، تلى آيات الله فاعجب به و بارك بولادته .

وقالوا : ان الوليد لم يفتح عينيه الا على محيا ابن عمه النبي العظيم وسمي علياً ، واختارت امه له أسم (حيدر) واذا كان هذا الاسم يوحي باكتمال الجسم الذي يبشر بالبطولة ، فان الاسم الآخر كان يوحي ببشائر السمو المعنوي .

● الولادة المعجزة :

كانت لولادته ، كما لمقتله ــ عليه السلام ــ شهادة حق على صدق رسالات الله ، انه آية الله العظمى في كل جوانب حياته ، من ولادته الى شهادته .

لماذا تحاط ولادة الرسل والائمة بالآيات ، فموسى (ع) يقذف في التابوت ليلقيه اليم بالساحل ، وليُصنع على عين الله .

وعيسى (ع) يولد من غير أب ، ويكلم الناس في المهد صبياً .

وسيدنا محمد (ع) ــ ترافق ولادته حوادث عظيمة ، تسقط شرفات قصر فارس .. وتخمد نيرانهم ، وتفيض بحيرة ساوه ، وتفيض الاخرى في سماوة و . و .

والامام علي يولد في الكعبة بعد ان ينشق ، لامه فاطمة بنت الاسد ، جانب المستجار ، لماذا ؟

هل لانهم قد اصطفاهم الله لرسالاته قبل الولادة ، حيث بادروا بالتلبية في عالم الذر قبل غيرهم من الصالحين ، فاجتباهم على علم ، وابان فضلهم بالولادة المعجزة .(١)

ام لان الله سبحانه اطلع على مستقبل حياتهم ، فأكرم مواقفهم المسؤولة التي يعلم انهم سوف يختارونها بكل حرية فاكرم مثواهم ، وجزاهم بطيب الولادة ، واعجازها .

ام لان الرب اراد بذلك ان يكرم الاصلاب الشامخة والارحام الطاهرة ممن ولدوهم ، كما فعل بمريم الصديقة ، لمكانها عند ربها ، أو بزكريا وزوجته .

---

(١) هكذا جاء في بعض النصوص المأثورة .

ام لأسباب أخرى ؟

ولكن الولادة المعجزة بلاغ مبين للناس ، بشأن الوليد العظيم اليس كذلك ؟

بعد ان خرجت ام علي (ع) تحمله ، استقبله النبي محمد (ص) وهو يعلم انه سيكون وصيه وخليفته و . و . فعم السرور قلبه الكبير.

ولم يتفارقا منذ تلك اللحظة حتى ارتحل عنه النبي الى ربه فلزم الوصي سنته حتى الشهادة.

وحين يصف الامام بفخر عظيم تلك العلاقة الحميمة بينه و بين النبي (ص) لا يدع لنا اشكالاً في انها كانت من تقدير الرب وان لها اثارها في بلاغ رسالا ته الى الناس.

يقول :

«انا وضعت في الصغر بكلاكل العرب ، وكسوت نواجم قرون وبيعة ومضر ، وقد علمهم موضعي من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا ولد يضمّني الى صدره ، و يكنفني في

فراشه ، و يُمنّي جسده و يشمّني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ، ولا غلطة في فعل ، ولقد قرن الله به ــ صلى الله عليه وآله ــ من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر امه ، يرفع لي كل يوم من اخلاقه علماً و يأمرني بالأقتداء به ولقد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ وخديجة وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة . واشم ريح النبوة »(١)

• الفتى المبارك :

ولم يزل يدرج و يترعرع متميزاً بين اترابه ، في أعماله ، وأقواله ، ففي ذات يوم ، وكان له آنذاك ، سنوات قلائل .. ويلعب مع اترابه ، اذ ينزلق احد الاطفال بجانب بئر كانت هناك .. وقبل ان يسقط فيها يلحقه علي فيأخذ منه عضواً ، فيعلق رأس الطفل الى الاسفل وتمسك عضوه الاعلى . يد

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٩٢).

علي و يصيح الاطفال ، و يأتي اهل الطفل .. و يتعجبون للمنظر ، وكان يسمى علي ــ مباركاً ــ فقالت والدة الطفل : ايها الناس اترون مباركاً ، كيف انقذ ، ولدي من الهلاك .

وكانت الظروف فاقرة في مكة ، وقد أصاب البلد الحرام قحط شديد ، عم بيت ابي طالب ، فجاء النبي (ص) الى بعض اعمامه الاثرياء . يفاوضهم في الامر واقترح ان يتكفلوا ابناء عمه فلما عرضوا عليه قال : ابقوا لي عقيلا . وخذوا من شئتم . فأخذ كل من العباس وحمزة ــ عما النبي ــ وهاله بنت عبد المطلب ــ عمته ــ ، واحداً من ابناء ابي طالب ، و بقي علي (ع) فاذا بالنبي يستدعيه ليكون له ، صاحباً ، فيغمره البشر ، و يأوى اليه كما يأوى الفصيل الى أمه .

ان علياً الذي فتح عينيه ، اول ما فتحهما ــ على ملامح النبي (ص) ، وظل مغموراً ببركاته ايام صغره ، ان علياً الذي رأى في محمد (ص) الحب والحنان ، وكل خصال الخير والجمال ، لا بد ان يأوي اليه و يسارع الى قبول كفالته له ، ويفيض فرحاً بذلك وابتهاجاً .

اخذ علي ، يتبع كفيله وحبيبه ، النبي محمداً (ص) و يطمئن اليه بكل قلبه ، و يقلده في كل عمل !

وذهب النبي (ص) يغدق على ابن اخيه ، كل ما افائت اليه رحمة الله ،

من اداب حسان وخلق كريم!

.. ولم يزل علي يرى النبي دائم التفكير يقلب وجهه في السماء يلتمس من ربه نوراً.

في تلك الايام التي كان يتعبد النبي عند غار حراء، كان علي يتدبر في عبادته، ويفكر فيها فيفهم معنى العبادة، ومغزاها، ويؤمن بمن يعبده ويهتدي اليه بفطرته النقية التي لم يتسرب اليها الشك ابداً!

ان علياً (ع) أوتي من النبوغ والذكاء ما يؤهله لكل ما كان النبي مؤهلاً له. ومن الخطأ ان نحدد أول وقت آمن فيه، فلقد كان مؤمناً بفطرته ولا يصح لنا ان نقرن ايمانه بزمان دون زمان ــ هكذا عبر النبي، ذات مرة اذ سأله رجل من المسلمين عن أول وقت آمن فيه الامام علي فقال: انه لم يكن كافراً حتى يؤمن، كما انه نفسه بيّن ذلك حين أكد انه لم يكن مسبوقاً بالشرك.

وعندما هبط الوحي على قلب محمد (ص) وجاء النبي، الى الامام يخبره..

ينفتح قلبه على أمر موعود، وحقيقة منتظرة، ذلك اليوم كان عمر الامام عشر سنوات، بلى انه لم يكن يعرف انساناً طيباً، يميزه عن الآخرين، كل معاني الفضيلة، والسمو ــ صدقه، امانته، بره بالخلق،

احسانه ، صلته بالرحم غير محمد ابن عبدالله ، البر الكريم ، فكيف لا يصدقه وكيف لا يتبعه .

وذات يوم .. دعاه النبي ، الى الصلاة ، فقام عليه السلام ، يتعلم قواعدها و يتوجه الى المسجد الاقصى حيث القبلة الاولى للمسلمين .. فيصلي بصلاة النبي وتصلي ورائهما خديجة زوجة الرسول ، هم ثلاثة ليس لهم الآن نظير على الارض ، يبتهلون الى الله بركعات ، يرتلون من اي الذكر الحكيم ، ما تزيدهم هدى ، وتملأ شعورهم ايماناً واطمئناناً .

لقد تشكلت الآن اول خلية حيّة ، بين ملايين الخلايا الميتة في المجتمع البشري وانها تسعى لكي تزيد نفسها حجماً وقوة وتبعث الحياة ــ باذن الله ــ الى سائر الخلايا .

ومن هذا العقد من حياة علي (ع) يبتدأ عهده مع الجهاد والتضحية ، لقد انتقل من بيت كفيله الى بيت والده من سنتين ، بيد انه لا يزال يقضي غالب اوقاته في بيت خديجة قريباً من الرسول (ص) ليرفع له كل يوم علماً في المعارف والاداب ، فيتبعه .

وظل الاسلام يتخذ من هذه الانفس المباركة محمد وعلي وخديجة ، أولى قواعده وازكاها .. حتى اجتمع اليه رجال ونساء يتحدون بالاسلام الوضع الفاسد .

وظل دعاة الاسلام يبذلون في سبيل الدعوة، طاقاتهم ودمائهم، حتى نمت شجرة الاسلام، وجاء الوحي يأمر النبي بان يصدع بما يؤمر و ينذر عشيرته الاقربين واظهارها للناس اجمعين.

فأمر النبي علياً(ع) ان يهيء طعاماً و يدعو بني هاشم الى بيته، واجتمعوا اليه يقودهم ابو طالب سيدهم و والي امورهم.

فلما طعموا ورأوا ان قصعة الثريد، التي أكلوا منها لم ينقص منها شيء وعجبوا وجاء النبي يكلمهم بشأن الدعوة راح عمه ابو لهب، يبعث كلماته الساخرة!!

ان أبا لهب كان من ألد اعداء الاسلام، مع انه كان من اقرب الناس رحماً بالنبي(ص) ولم ينزل في القرآن آية يذكر فرداً من معاصري النبي بالسوء غير ما نزلت في حق أبي لهب، وفي سورة كاملة تبتدأ بقول شديد:

«تبت يدأ أبي لهب وتب»

وقد كان أول المستهزئين بالرسول، ذلك النهار، حيث قال بين فتيان بني هاشم، الذين كانوا زهاء اربعين رجلا، قال: لشد ما سحركم صاحبكم، اي ما اعجبه رجلا قد سحركم فتفرق القوم ولم يكلمهم الرسول..

فلما كان من غد استضافهم علي (ع) مرة أخرى فجاءوا واكلوا وشربوا، وقبل ان يتكلم أبو لهب، ابتدأهم الرسول قائلا:

«يابني عبد المطلب! اني ــ والله ــ ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تبارك وتعالى ان ادعوكم، فأيكم يؤازرني على أمري، على ان يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟»

فأحجم القوم جميعاً، ألا علياً، وكان ذلك اليوم ــ كما يصف نفسه ــ، احدثهم سناً، وارمضهم(١) عيناً واعظمهم بطناً، واحمشهم(٢) ساقاً فقال:

«انا يانبي الله أكون وزيرك عليه»

فأخذ برقبته ثم قال:

«فاسمعوا له واطيعوا»

---

(١) رمضت عينيه: حميت حتى كادت تحترق.

(٢) حمشت الساق: دقت.

فقام القوم يضحكون و يقولون لابي طالب : قد أمرك ان تسمع لعلي وتطيع .

وظلت هذه الدعوة تتراوح بين علي (ع) وخديجة (ع) ثلاث سنوات ، وكان النبي يصلي بهم في خفاء و يؤدي بهم مناسك الحج على سنة الاسلام حنيفاً بها ، عما كان يأتيه أهل الجاهلية .

فلقد أثر عن عبدالله بن سعود قوله : ان اول شيء علمته من أمر رسول الله (ص) قدمت مكة في عمومة لي ، فارشدونا الى العباس ابن عبد المطلب ، فانتهينا اليه وهو جالس الى من ثمَّ(٣) فجلسنا اليه فبينما نحن عنده ، اذ اقبل رجل من باب الصفا تعلوه حمرة ، وله وفرة جعدة الى انصاف اذنيه ، اقنى الانف ، براق الثنايا ، ادعج العينين(٤) كث اللحية(٥) رقيق المسربة(٦) شثن الكفين(٧) حسن الوجه ، معه مراهق أو محتلم تقفوه امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه ثم استلمه الغلام ، ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعاً ، والغلام والمرأة يطوفان معه فقلنا : ياابا الفضل ! ان هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم أو شيء حدث ؟

---

(٣) لعلّ مراده انه كان جالساً عند جماعة هناك .

(٤) اي اي شديد السواد مع سعتها .

(٥) مجتمع الشعر : غير طويل .

(٦) المسربة : الشعر وسط الصدر الى البطن .

(٧) غليظ الكفين .

قال : هذا ابن اخي محمد بن عبدالله (ص) والغلام علي ابن ابي طالب ، والمرأة امرأته خديجة بنت خويلد ، ما على وجه الارض أحد يعبد الله تعالى بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة .

وقال عفيف الكندي : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب ، لابتاع منه بعض التجارة ، ــ وكان امرأً تاجراً ــ فو الله اني لعنده بمنى اذ خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما رأها قد مالت ، قام يصلي (قال) ثم خرجت امرأة من الخباء الذي خرج ذلك الرجل منه فقامت خلفه فصلت ، ثم خرج غلام هين راهق الحلم ، من ذلك الخباء فقام معه فصلى (قال) فقلت للعباس من هذا ياعباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن اخي (قال) : فقلت : من هذه المرأة ؟ قال : امرأته خديجة بنت خويلد (قال) فقلت : من هذا الفتى ؟ قال : علي بن ابي طالب ابن عمه (قال) فقلت له : ما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على أمره الا امرأته وابن عمه هذا الفتى ، وهو يزعم انه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر .

ومضت على الدعوة مدة ، وعلي يستقيم على الصراط السوي و يقاوم الضغوط و يصوغ الوحي شخصيته الفذة ثم التف حول الدعوة رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر ربهم فلما أمرهم النبي بالهجرة الى حبشة

وامّر عليهم جعفراً اخا علي عليهما السلام قامت قيامة قريش الذين رأوا من مناوئتهم ــ العظيم ــ القوة وحسن التدبير، فاخذوا يدرسون خطة أخرى اشد واقسى مما سبق وذلك بفرض حصار اجتماعي على بني هاشم زاعمين انهم شذوا عن النظام الاجتماعي السائد.

فدبروا أمر الصحيفة الملعونة، حيث اجمعوا على ان لا يخالط النبي ومن دار في افقه من الهاشميين، وعلى رأسهم سيدهم ابو طالب، ولا يعاملهم احدٌ أبداً.

فجمع ابو طالب أهله في شعب له، وذب عنهم بما كان لديه من طاقة وسلطان.

وتلك كانت فرصة سانحة للامام علي ــ عليه السلام ــ ان ينهل من نبع النبي الفياض، كل مكرمة وفضيلة ومعرفة، كما استطاع ايضاً ان يمارس جهاده الشاق طيلة ثلاث سنوات ولعل هذا كان اول ميادين الجهاد التي خاضها ابن ابي طالب (ع) بلى كان له من قبله جهاد آخر.. ولكن ليس في هذا المستوى، وذلك ان النبي (ص) كان يمر بطرقات مكة فيرشقه ابناء مكة بالحجارة، والحصى بأمر من اوليائهم، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعبأ بذلك، بيد ان علياً عليه السلام كان يصاحبه، فاذا اساء احدهم الى النبي اخذه وجدع فمه، وكان علي، قوياً منذ صباه وشجاعاً،

وكان لذلك مهيباً ، في اعين اترابه فاذا رأوه يمشي مع النبي ، قالوا لبعضهم مهلا ، فان معه القضم ، اي الذي يقضم انافهم واذانهم .

● الفصل الثاني

■ حياته في عهد الرسول (ص)

● الهجـــرة :

وبعد ما نقضت الصحيفة الملعونة ، ولم تفت في عضد الدعوة واضطرت قريش ان تسمح لبني هاشم بالدخول في رباع مكة ، والاختلاط مع الناس اصاب المرض عمه وكفيله ابا طالب ، كما اصاب زوجته الوفية خديجة ، لما كان قد لاقياه في الشعب من العنت فماتا في السنة التالية التي سميت بعام الحزن ، وفقد النبي (ص) اكبر معين وأشد ركن يعتمد عليه في الملمات .

وعزم النبي (ص) على الهجرة الى المدينة المنورة ، وعزم الكفار ان يقتلوه غيلة قبل ان يهاجر اليها ، وانتخبوا من بينهم ثلاثين مقاتلاً مغامراً ، يهجمون على دار النبي ليلاً فيقتلوه ينتمي كل منهم الى بطن من قريش

فيضيع دمه بين قريش جميعاً ، وجاء نبأ ذلك الى النبي (ص) فرسم خطة مسيره الى المدينة وذلك بان يتجه تحت جنح الظلام الى غار ثور ثم يتخذ طريقاً منحرفاً عن الجادة الى المدينة ، بيد ان الخطة كان يعوزها شيء واحد ، وهو ان هؤلاء الفتية من قريش اذا عرفوا فرار الرسول اول الليل ، فانهم سوف ينتشرون حول مكة تفتيشاً عنه ، ولا محالة سوف يجدونه ، وان وجدوه قتلوه ، فقرر الرسول (ص) ان يموِّه عليهم بان ينام مكانه شخص ، ليخيل اليهم انه النبي ، وسوف لا يكتشفون الحقيقة الا بعد ان يكون النبي مبتعداً عن مكة اميالاً او يستقر في غار ثور فعلاً .

ولكن من هو ذلك الذي يقدم على الموت على الفراش ؟ وليس في ساحة الحرب ، حيث الثورة والهياج وحيث يقاتل فيقتل و يقتل ، بل الموت على الفراش لا يدافع عن نفسه ، ولا تثور اعصابه ، ولا يقوم بحركة !

ان لهذه المهمة رجلاً واحداً فقط ، هو ابن ابي طالب !! انه لا يتهيب ابداً وَقَع الموت عليه ، أو وقع هو على الموت .

وجاء اليه النبي يعرض عليه أمر الهجرة ، و يأمره بالمهمة ، فاذا بعلي وكأنه قد بشر بملك الدنيا ، يرحب بها بعد ان يطمئن الى سلامة الرسول و ينجو الرسول من أيدي المتأمرين ، و يتقلب الامام على فراشه ، وتلمع حول البيت سيوف ، تنتظر الفجر لتهجم على المستلقى على الفراش فيقطعوه ــ أرباً أرباً ــ وعندما اقترب الصبح ، رموا حجراً اليه ، فلم

يتحرك ، ورموا الثاني وعندما رموا الثالث ، قام من مكانه ، فقال قائلهم من هذا ؟ انه ابن ابي طالب ، يا علي اين محمد ؟ فأجال علي طرفه بينهم وقال : وهل اودعتموني محمداً ؟ .. فأراد بعضهم ان يفتك به ، ولكن منعه الآخرون ، وانجاه الله من شرهم .

وكان على الامام مهمة كبيرة أخرى ، تلك مسؤولية حمل أهل بيت النبي ، وضعفاء المسلمين المتخلفين في مكة ، الى المدينة وكانت مهمة شاقة حيث ان أهل مكة حينما عرفوا بغياب النبي تميزوا غيضاً ، لما علموا بأن تخلص النبي عن أيديهم سوف يكلفهم كثيراً ، فعزموا على ان يمنعوا بقية اصحابه عن الالتحاق به بكل وسيلة ، وراحوا يراقبونهم ، مراقبة شديدة ، الا يفلتوا من أيديهم ، وعلى رأس هؤلاء أهل النبي وعياله .

و بعد مدة جمع علي (ع) امره ، وخرج ــ خفية ــ بالفواطم ــ فاطمة بنت (رسول الله) ، وفاطمة بنت أسد (والدة الامام) وفاطمة بنت زبير (عمته) و بعض الضعفاء من المسلمين يريدون المدينة ، وكانوا قد ابتعدوا عن مكة أميالاً ، عندما علم أهل مكة بالامر ، فجهزوا سرية سريعة الى الركب لأعادته قسراً الى مكة ، وكانت السرية بقيادة (جناح ، مولى حارث ابن امية) .

فجاءت حتى اذا بلغت الركب ، التفت اليهم علي (ع) فحمل عليه

جناح بسيفه فأسرع علي وأخذ السيف من يده ، وضربه ضربة فأرداه قتيلاً ، واستسلم سائر الافراد لما رأوا من شجاعة علي وقوة بأسه ، فتركهم الامام ، وحث راحلته الى المدينة .

• غزوة بدر :

وحشدت قريش قواها ، لتحارب النبي (ص) الذي أخذ يكوِّن في مهجره مجتمعاً اسلامياً يهدد الظالمين ، فاذا بها ترسل الى المدينة الف مسلح شجاع ، وجند النبي لها ما كان يملك من قوة عسكرية فالتقى الجمعان في منطقة (بدر) .

وفي يوم الثالث عشر من شهر رمضان في السنة الاولى من الهجرة ، ابتدأ الفريقان بالمبارزة وكان من بينهم ثلاثة من الشجعان يدعون شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وليد بن ربيعة فبرزوا للحرب وطالبوا باقرانهم من قريش ، فانهض رسول الله عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلياً (ع) فراح الأمام حتى قتل وليداً وشيبة ، وشارك في قتل الآخر .. وبذلك فقدت قريش اشجع ابطالها ، وبعد مبارزة اخرى قتل فيها علي حنظلة بن ابي سفيان ، والعاص بن سعيد بن العاص ورجالاً آخرين من شجعان مكة ، فانهزموا وانتصر المسلمون باذن الله .

• غزوة أحد :

ورجع جيش مكة منهزماً اسفاً وقد قتل شجعانه وأبطاله ، فاخذت سلطة الاشراف تستعد لشن حملة أخرى ، تغسل بها ما أصابها في بدر من عار وذل ، وتبيد بها دعوة النبي ورسالته .

ويصف علي هذه الغزوة ، فيقول : واقبل الينا أهل مكة على بكرة ابيهم ــ قد استحاسوا (أي حرضوا وجمعوا) من يليهم من قبائل قريش ، طالبين بثأر مشركي قريش في يوم بدر ، فهبط جبرئيل على النبي (ص) فانبأه بذلك ، فذهب النبي (ص) وعسكر باصحابه في سد أحد ، واقبل المشركون الينا فحملوا علينا حملة رجل واحد ، واستشهد من المسلمين من استشهد ، وكان ممن بقي ما كان من الهزيمة و بقيت مع رسول الله (ص) ، ومضى المهاجرون والانصار الى منازلهم من المدينة كل يقول قتل النبي (ص) وقتل اصحابه ــ ثم ضرب الله عزوجل وجوه المشركين ، وقد جرحت بين يدي رسول الله (ص) نيفاً وسبعين جرحة ، منها هذه وهذه ، ثم القى علي ردائه وامرَّ بيده على جراحاته .

• غزوة الاحزاب :

ثم كانت الاحزاب ، حيث تجمعت قريش والعرب لمحاربة الاسلام من جديد ويصف ذلك الأمام و يقول : وعقدت بينها عقداً وميثاقاً ، لا يرجع من وجهها حتى تقتل رسول الله ، وتقتلنا معه ــ معاشر بني عبد

المطلب ــ ثم اقبلت بحدها وحديدها ، حتى اناخت علينا بالمدينة ، واثقة بانفسها ، حينما توجهت له فهبط جبرئيل على النبي (ص) ، فانبأه بذلك فخندقٍ على نفسه ومن معه من المهاجرين والانصار ، فقدمت قريش فاقامت على الخندق محاصرة لنا ، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف ، تُرعد وتُبرق ، ورسول الله (ص) يدعوها الى الله عزوجل ، و يناشدها بالقرابة والرحم ، فتأبى ولا يزيدها ذلك الا عتواً ، وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبدّ ود يهدر كالبعير المغتلم ، يدعو الى البراز و يرتجز ، ويخطر برمحه مرة و بسيفه مرة ، ولا يقدم عليه مقدم ، ولا يطمع فيه طامع ، ولا حمية تهيجه ، ولا بصيرة تشجعه ، فانهضني اليه رسول الله (ص) وعممّني بيده ، واعطاني سيفه هذا (وضرب بيده الى ذي الفقار) فخرجت اليه ، ونساء أهل المدينة بواكٍ إشفاقاً عليَّ ، من ابن عبد ود ، فقتله الله عزوجل بيدي ، والعرب لا تعد لها فارساً ، غيره ، وضربني هذه الضربة ــ واومأ بيده الى هامته ــ فهزم الله قريشاً ، والعرب بذلك ، وبما كان منيّ من النكاية .

بلى كانت تلك هي الضربة التي عدلها النبي (ص) بعبادة الثقلين ، فرجحت وقال :

«ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين(١)»

---

(١) حديث مجمع عليه بين المسلمين.

ومضى اصحاب الرسول (ص) يمجدون تلك الضربة التي انقذت المسلمين من أخطر هجوم عسكري، قامت به كل مستكبري قريش والقبائل المشركة بالتعاون مع اليهود والمنافقين.

يروي الشيخ المفيد في ارشاده: عن قيس بن الربيع عن ابي هارون السعدي انه قال: أتيت حذيفة اليمان فقلت له: يا ابا عبد الله انا نتحدث عن علي ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: انكم تفرطون في علي فهل انت محدثي بحديث فيه؟

فقال حذيفة يا ابا هارون! وما تسألني عن علي ــ فو الذي نفسي بيده ــ، لو وضعت جميع أعمال اصحاب محمد في كفة الميزان، منذ بعث محمد (ص) الى يوم القيامة، ووضع عمل علي في الكفة الاخرى لرجح عمل علي على جميع أعمالهم، فقال هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل، واين كان فلان وفلان، وجميع اصحاب محمد (ص) يوم عمرو بن ود العامري، وقد دعا الى البراز، فاحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فانه برز اليه وقتله الله على يده، والذي نفسي بيده، لعمله ذاك اعظم أجراً من أعمال اصحاب محمد الى يوم القيامة. (٢)

---

(٢) سيرة الائمة ــ ص (٢٢٩).

وبعد وقعة الخندق، سار النبي الى مكة، وكان يحب أن يدخل مكة معتمراً، ومعه عدد كبير من المسلمين.

فأعطى اللواء لعلي ــ عليه السلام ــ، فلما وصل مشارف مكة، منعته قريش منها، وأجتمع أصحاب الرسول تحت شجرة هناك وبايعوه على الموت بما سمي بعدئذ ببيعة الرضوان، وقال بعض المفسرين نزلت الآية الكريمة فيها:

«لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم وأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً»(١)

فلما رأت قريش مدى استعداد المسلمين للقتال طلبوا الصلح، والهدنة، وكان من بين بنود الصلح التي أصرت قريش عليه ورفضه النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ: أنهم قالوا:

يامحمد! خرج اليك ناس من ابنائنا واخواننا وارقائنا، وليس لهم فقه في الدين، وانما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فاردوهم الينا.

فقال:

---

(١) سورة الفتح آيه (١٨).

«اذا لم يكن لهم فقه في الدين ــ كما يزعمون ــ سنفقههم فيه»

ثم أضاف :

«يامعشر قريش لتنتهن او ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف ، قد امتحن الله قلبه بالايمان»

فقالوا : من هو ذلك الرجل يارسول الله ؟

فقال :

«هو خاصف النعل»

وكان قد اعطى نعله لعلي يخصفها له . (١)

هكذا نعرف مدى خشية قريش ، وسائر المشركين من بأس الامام ، وانه كان سيف الله الذي لا ينبو وسهم الاسلام الذي لا يخطىء ، يبعثه النبي (ص) متى احس بالخطر على الدين ، و ينذر به الاعداء ، متى ما تمادوا في الغي .

(١) سيرة الائمة الاثنى عشر ص / (٢٣٦) عن مجموعة النسائي في حصائصه . والحاكم في مستدركه وطائفة من العلماء .

كيف اقتحم الامام حصون خيبر ؟

كانت الجالية اليهودية تشكل خطراً كبيراً في الجزيرة العربية ، وكانوا يتحصنون بمواقع جيدة ، ربما تشبه مستعمراتهم اليوم في ارض فلسطين . وكانوا قد نقضوا عهدهم مع الرسول ، وشاركوا في حرب المشركين في الاحزاب ضد المسلمين ، فلما استراح المسلمون من شر قريش ، بسبب صلح الحديبية السابق ، انعطف النبي باصحابه على اعظم قلاعهم في خيبر وحاصرها وكان النبي يبعث كل يوم قائداً من المسلمين لاقتحامها فيعود خائباً ، و يروي ابن اسحاق ان النبي (ص) بعث ابا بكر ثم عمر ، فما فتح الله على أيديهما شيئاً ، و بعث غيرهما فعادوا جميعاً خائبين ، فقال كلمته المعروفة :

«والله لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»

فتمنى كل ان يكون هو ! لعلمهم بان علياً أرمد العينين ، ولكنه حين اصبح نادى اين علي فلما جيء به معصب العين من شدة الالم ، مسح عليها فازال الله مرضها واندفع الامام يحمل راية النصر ، واشتبك مع طلائع اليهود ، وقتل بطلهم المعروف مرحبا ، بضربة صاعقة قدت مغفرته ، ووصلت الى اضراسه ، فولى اليهود منهزمين الى حصونهم التي اقتحمها الامام ، وقلع باب خيبر العظيم وترس به ، وكانت تلك من آيات النصر

الالهي التي تجلت على يد أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ .

و بعد عودة المسلمين الى المدينة ، ونقض قريش لمعاهداتهم في صلح الحديبية ، الذي كتب الامام بنوده ، استعد الرسول لفتح مكة وكان يريدها مفاجئة ، الا ان بعض ضعفاء النفوس تجسس لقريش مجاناً ، فكتب رسالة اليهم ينبأهم بخبر التعبئة ، وسلمها لزوجته وسارت بها الى مكة ، وانبأ جبرئيل النبي (ص) بذلك فسيّر اليها علياً والزبير.

فلما أوقفاها ، انكرت وعاد الزبير ادراجه الا ان الامام امتشط سيفه ، وانكر على الزبير رقته لها ، وقال : ان رسول الله يخبرنا بانها تحمل كتاباً الى أهل مكة ، وتقول انت : بأنها لا تحمل شيئاً . ثم قال للمرأة والله ان لم تخرجي الكتاب لاكشفنك . فاخرجت له الكتاب من عقيصتها .

وهكذا حافظ الامام ــ بأمر من الرسول ــ على سرية الحركة ، وسار الجيش البالغ (١٢) الف مقاتل ، واعطى الرسول الراية لعلي عليه السلام الذي دخل مكة وهو يقول : اليوم يوم المرحمة ، ايذانا بالعفو العام الذي أصدره النبي صلى الله عليه وآله بعدئذ ، وقال لهم اذهبوا فانتم الطلقاء.

وحطم الاصنام التي على الكعبة ، حيث حمل النبي (ص) الامام وأمره بان يحطم اصنام قريش ففعل عليه السلام.

• ويوم حنين :

لقد تم فتح مكة بيسر لم يحلم به المسلمون ودب الى قلوبهم الغرور، ولكنهم لم يهنأوا به طويلا اذ استقبلهم خطر عظيم، فها هي هوازن وثقيف وحلفاؤهم المشركون، يعبأون كل طاقاتهم للهجوم على المسلمين، فيجهزون جيشاً يبلغ ثلاثة اضعاف جيش الاسلام، وحين بادرهم الرسول بالخروج اليهم استفادوا من خبرتهم بارضهم فكمنوا له في مضيق جبلي لا بد من مرور جيش الاسلام به في وادي حنين، وهي من اودية منطقة تهامة، و يصف المعركة بعض شاهديها قائلاً :

فما راعنا ــ ونحن نسير الى القوم لنأخذهم على غرة قبل ان يأخذوا حذرهم ــ فما راعنا ونحن نسير، الا وكتائب هوازن ومن معهم من العرب قد شدوا على المسلمين شدّة رجل واحد من كل جانب، فامعنوا فينا ضرباً وطعناً، واختلط الناس بعضهم ببعض، فاستولى الخوف على المسلمين ودب فيهم الذعر، فانهزموا عن النبي (ص) لا يلوون على شيء، وثبت رسول الله في مكانه، ومعه علي والعباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن حارث، واسامة بن زيد. (٢)

وثبت الرسول وحوله الفتية من بني هاشم يتقدمهم علي بن ابي طالب

---

(٢) المصدر ــ ص / (٢٥٣).

الذي أخذ يكشف الكرب عن وجه رسول الله ، و يضرب بالسيف يمنة و يسرة ، فلم يقترب الى الرسول أحد الا وضربه بسيفه ونادى العباس عم النبي برفيع صوته و بأمر الرسول : ياأهل بيعة الشجرة ، ياأهل بيعة الرضوان الى أين تفرون عن الله ورسوله ، فعادت طائفة منهم بلغت زهاء مأة ، فبرز «جرول» حامل راية هوازن فتحاماه الناس لصولا ته الشديدة ، فبرز اليه علي (ع) وقتله فدب الذعر في نفوس القوم ، وقتل الامام منهم اربعين بطلاً وعاد المسلمون الى المعركة ، والتحم الجيشان ، وأخذ النبي حفنة من التراب واعطاها للامام فألقاها في وجه المشركين وهو يقول : شاهت الوجوه ، وخلال ساعات دارت المعركة على الكفار وتركوا ارض المعركة ، وفيها نساؤهم واطفالهم واموالهم ، وحمل الامام علي عليه السلام وسام النصر كعادته في كل الحروب .

• وحين استخلفه الرسول على المدينة :

وعاد الرسول الى المدينة ، فانتهى اليه ، في العام التاسع من الهجرة خبر مفاده : ان الروم يعدون جيشاً لغزو البلاد الاسلامية ، فعبأ قواته لمواجهتهم ، وكان ذلك أول مواجهة ــ لو تمت ــ بين المسلمين والكفار خارج الجزيرة ، و بالذات مع الامبراطورية الرومانية العظيمة ، وكان من الحكمة ان يرتب الرسول امور بلاد العرب بصورة تامة حتى لو لم تقدر له العودة ، تكون البلاد الاسلامية بأيد امينة ، تأمن شر الاعتداءات الخارجية

والمؤامرات الداخلية التي كانت قد اضحت في تلك الفترة متنامية بسبب دخول مجاميع من الناس في الاسلام ليحفظوا دماءهم ويحصلوا على مغانم ومكاسب.

وهكذا استخلف النبي علياً مكانه، الا ان المنافقين الذين كانوا ينتظرون فرصة كهذه، ليقفزوا الى السلطة أو ليعيثوا فساداً في ارض الجزيرة، راحوا يبثون شائعات: ان النبي انما استخلف علياً لانه لم يحب ان يكون معه، فحمل الامام سيفه وسلاحه ولحق بالرسول في منطقة «الجرف» فأخبره بمقالة المنافقين، فقال له النبي (ص):

«انما خلفتك لما ورائي، ان المدينة لا تصلح الا بي او بك فانت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي»

ولعل وراء استخلاف النبي للامام، وتسليمه شؤون البلاد الاسلامية اثناء غيابه عنها، حكمة بالغة، أو ليس علي وصيه الذي اختاره الله له واعلن ذلك للناس منذ «يوم الدار» حين أنذر عشيرته الاقربين، فلا بد اذن من تمهيد الظروف لذلك، و يوحي بهذه الحكمة ما نجده في مسند أحمد من قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ بعدئذ حسب هذا المصدر:

و ياليت شعري : كيف لا يترك الرسول المدينة الا وعلي خليفته ، ثم يترك الدنيا دون ان يستخلف علياً ــ عليه السلام ــ ؟

• الغارة التي خلدها الكتاب :

اذعنت الجزيرة العربية لحكم الله ، بعد فتح مكة ومعركة حنين ، الا ان الاعراب الذين كان دأبهم الغزو ، تجمعوا في منطقة قريبة من المدينة وأرادوا الاغارة عليها ، على حين غفلة من أهلها ، فلما انتهى خبرهم الى الرسول ، ندب لهم ابا بكر ثم عمراً ثم عمرو بن العاص ، ولكنهم كانوا يؤثرون الانسحاب بسبب تحصن الاعراب بواد هناك تسمى وادي الرمل ، كانت صعبة المسالك كثيرة الاحجار ، وكان موقع المدافعين الحصين سبباً لكثرة إصابات المسلمين .

وكعادة الرسول في الاستعانة بعلي (عليه السلام) عند الشدائد ، أرسله وضم اليه القيادات السابقة ، فمضى اليهم الامام يكمن بالنهار و يسير بالليل ، فلما اقترب منهم وحاصر مواقعهم في الليل ، انقض عليهم أول الفجر ، وامعن فيهم قتلاً وأسراً حتى استسلموا .

وذات صباح صلى الرسول بالمسلمين صلاة الغداة وقرأ عليهم فيها

(٣) المصدر ــ ص (٢٥٩) نقلاً عن فضائل الخمسة ص (٢٢٩).

سورة لم يسمعوها من قبل :

«والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فاثرن به نقعا ، فوسطن به جمعاً ..»

فلما سألوه عنها قال :

«ان علياً ظفر باعداء الله وبشرني جبرئيل في هذه الليلة» (٤)

وحين عاد الامام استقبله النبي والمسلمون معه ، فترجل الامام عن فرسه (احتراماً للرسول) فقال له النبي اركب فان الله ورسوله عنك راضيان واضاف :

«لولا اني اشفق ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح ، لقلت فيك مقالة لا تمر على ملأ من الناس الا أخذوا التراب من تحت قدميك» (٥)

وهكذا كان الامام سيف الاسلام الذي لا ينبو، يوجهه الرسول حيث

---

(٤) المصدر/ ص (٢٦٣) ـ (٢٦٤) نقلاً عن مجمع البيان عن الامام الصادق عليه السلام.
(٥) المصدر/ ص (٢٦٢).

يحدق الخطر بالرسالة ، وقد بعثه مرتين الى اليمن ــ حسب الاخبار ــ حيث اسلمت على يديه قبائلها ، و بالذات قبائل همدان التي ظلت على ولائها للامام حتى نسب اليه قوله :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

• بيعة غدير خم :

وفي السنة العاشرة ــ بعد الهجرة ــ حين عزم النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ على المسير الى مكة واداء الحج الاخير الذي سمي «بحجة الوداع» كان الامام عليه السلام في اليمن أو نجران ، فكتب اليه الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ بأن يوافيه مكة حاجاً ، وقد اوحي الى النبي (ص) انه راحل عن أمته .

فلما قفلوا عن مكة راجعين ، أوقف الرسول الركب بمنطقة تسمى «بغدير خم» حيث نزلت عليه الآية الكريمة :

«يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس»

فقام في الناس خطيباً وقال في مستهل حديثه :

«أيها الناس يوشك ان ادعى فاجيب»

وأضاف :

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»

ثم قال : بعد ان أخذ بيد علي ورفعها :

«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»

قالوا : بلى يارسول الله ، فقال :

«من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»

ثم أفرد النبي لعلي خيمة وأمر المسلمين ان يدخلوا عليه فوجاً فوجاً و يسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه من ازواجه ونساء المسلمين.

فانزل الله تعالى على رسوله ما يعتبر اعلاناً عن خاتمة الوحي :

«اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»

وانتشرت في الافاق انباء استخلاف النبي لوصيه الامام علي ! ولكن النبي ــ الذي كان أخبر قائدٍ بالناس من حوله ــ كان يعلم ان الكثير من التمهيد يحتاجه المسلمون الذي تكاثر عدد الوصوليين بينهم بعد فتح مكة ، وان الكثير منهم يطالبون علياً بأوتار الجاهلية . فلا يقبلون بولاية الامام ــ عليه السلام ــ بسهولة .

كما أحيط علماً : بالمؤامرات التي كانت تجري في البلاد للسيطرة على الحكم من بعده ، وكانت «قريش» التي دخلت ــ الآن ــ في الاسلام تتخذ منه اداة جديدة لسلطتهم على الجزيرة العربية ، كانت مركز هذه المؤامرة ، من هنا لم يدع الرسول (ص) مناسبة الا وأعلن فيها عن ان وصيه الذي اختاره الله للولاية من بعده ، انما هو الامام علي عليه السلام ، لا اقل لكي تبقى الاقلية المؤمنة وفية بعدها مع الله والرسول ، وملتفة حول قيادة الامام ، وتحافظ على الخط السليم للامة ، وتكون ميزاناً للحق والباطل ، ومقياساً سليماً لمتغيرات الحوادث .

من هنا نجد النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ يسعى حتى آخر لحظة من حياته في هذا السبيل ، فقد جاء في رواية البخاري ــ من كتاب المرض والطب ــ انه اجتمع عند رسول الله رجال فيهم : عمر بن الخطاب ، فقال

لهم النبي (ص) هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً فقال عمر بن الخطاب : «ان النبي غلبه الوجع ، وعندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله» فاختلف الحاضرون واختصموا فامرهم النبي بالانصراف . (٦)

وفي بعض روايات البخاري قال بعضهم ما شأنه أهجَرَ ؟! استفهموه فذهبوا يرددون عليه فقال : دعوني ، فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه ، واوصاهم بثلاث اخراج المشركين من جزيرة العرب ، وان يجيزوا الوفود بمثل ما كان يجيزهم ، وسكت الراوي عن الثالثة أو قال : اني نسيتها . (٧)

وواضح ، ان المسلمين لم يكونوا لينسوا وصية نبيهم الاخيرة ، الا انها كانت متعلقة بالوضع السياسي بعد النبي مما يستدعي تناسيه رغباً أو رهباً .

والواقع ان الخليفة الثاني بَرّر ذات مرة اتهامه للنبي ، بانه قد غلبه الوجع ، بأنه لم يكن يرى مصلحة في استخلاف النبي للامام علي .. فقد جاء في شرح ابن ابي الحديد : روي احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد مسنداً عن ابن عباس قال : دخلت على عمر في أول خلافته وقد القى له صاع من تمر على خصفة ، فدعاني الى الاكل فأكلت تمرة واحدة ، واقبل يأكل حتى أتى عليه ، ثم شرب من جر كان عنده واستلقى

---

(٦) المصدر / ص (٢٧٦).

(٧) المصدر / ص (٢٧٧).

على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك ، ثم قال : من اين جئت ياعبد الله ؟ قلت : من المسجد . قال : كيف خلفت ابن عمك ــ فظننته يعني عبد الله بن جعفر ــ قلت : خلفته يلعب مع اتراب له ، قال : لم اعن ذلك ، انما عنيت عظيمكم أهل البيت ، قلت : خلفته يمتح بالقرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن . قال : ياعبد الله علي دماء البدن ان كتمتنيها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ قلت : نعم . قال : أيزعم ان رسول الله نص عليه ، قلت : نعم ، وازيدك سألت ابي عما يدعيه فقال : صدق . فقال عمر : لقد كان من رسول الله في أمره ذرو من قول لا يثبت به حجة ولا يقطع عذراً ، ولقد كان يرجع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام ، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها ، فعلم رسول الله اني علمت ما في نفسه فأمسك وابى الله الا امضاء ما حتم . (٨)

---

(٨) راجع كتاب «قضاء أمير المؤمنين» ص ــ (٣٢٠).

• الفصل الثالث

■ الامام يواجه المحنة

• الامام علي يواجه المحنة :

اوصى النبي الامام بانه سيعاني من امته الكثير، و بانهم **لا يمتثلون اوامره** فيه وفي سائر أهل بيته ، فعليه ان يتسلح بالصبر ، والتحق النبي بالرفيق الاعلى ، وفاضت نفسه ورأسه الشريف على صدر الامام .

واشتغل الامام بمراسم الغسل والتكفين والدفن كما يقول عليه السلام :

« ولقد قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ وان رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي ، فامررتها على وجهي ، ولقد وليت غسله ــ صلى الله عليه وآله ــ والملائكة اعواني ،

فضجت الدار والأفنية ، ملأ يهبط وملأ يعرج ، وما فارقت سمعي هينمة منهم ، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا احق به مني حياً وميتاً »(٩)

الا ان هناك من كان يفكر في كيفية الانقلاب ، و يبدو ان ثلاثة خطوط ارتسمت على الخارطة السياسية بعد وفاة النبي مباشرة هي :

أولاً : خط الامام علي ومعه جمهور الانصار وثلة من المهاجرين .

ثانياً : جناح سائر المهاجرين ، وثلة من الانصار خصوصاً من قبيلة خزرج .

ثالثاً : حزب الامويين بقيادة ابي سفيان .

و بالرغم من ان الخط الثالث ، كان منبوذاً ، ولا تزال ذكريات بدر وأحد حية في نفوس المسلمين و بالتالي : لم يكن لها الجرأة بأن تطرح نفسها كسلطة سياسية ، الا ان انتشار شبكتها في الجزيرة وتراكم التجربة القيادية لديها ، وامتلاكها لكثير من الرجال الاشداء ، والاموال الطائلة ، كل ذلك كان يجعلها الغائب الشاهد في كل قرار سياسي للأمة حيث

(٩) نهج البلاغة ـ شرح د . صبحي الصالح ص ـ (٣١١).

كانت أكبر قوة ضاغطة من وراء الاحداث .. و يبدو للباحث في التاويخ ان اية قوة سياسية كانت تتحالف مع خط ابي سفيان ، كان بأمكانها اخذ أزمة الامور بيديها ، وان ابا سفيان حاول في البدء التحالف مع الامام علي عليه السلام فرفض ، فتحالف مع بعض عناصر الخط الثاني الذي كان يعتبر معتدلاً تجاهه ، اذا قيس بتصلب الامام علي عليه السلام ومدى شدته في ذات الله .

فقد جاء في بعض النصوص التاريخية ، ان ابا سفيان مشى الى الامام بعد وفاة الرسول ، فانخاه للمطالبة بحقه و وعده بان يملأها خيلاً ورجالاً فأبى عليه السلام ذلك بقوة ، والقى خطاباً هاماً رغب الناس في الآخرة ، وزهدهم في الدنيا جاء في أولها :

«أيها الناس ! شقوا امواج الفتن بسفن النجاة ، وعرّجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا تيجان المفاخرة ، افلح من نهض بجناح ، او استسلم فأراح ، هذا (الدنيا أو الملك) ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها ، كالزارع بغير ارض فان اقل ، يقولوا حرص على الملك ، وان اسكت يقولوا جزع من الموت» (١٠)

(١٠) نهج البلاغة الخطبة (٥).

وهكذا غلب الخط الثاني ، والذي اتفق قياداته على بيعة الخليفة الاول على السلطة ، وكانت قيادات الجيش متفقة مع هذا الخط في الاغلب . وباستطاعتنا ان نفسر سيطرة هذا الخط بانه سيطرة للخط العسكري . فبالرغم من ان الامام علياً كان أبرز القيادات العسكرية في ذلك اليوم حيث حمل راية الاسلام في أكثر المعارك ، الا ان اغلب انصاره كانوا من المحرومين والمستضعفين كالانصار.

وهكذا يمكننا ان نفسر تسيير النبي لجيش اسامة الى خارج العاصمة بل خارج الجزيرة العربية وقد ضم اليه كبار الاصحاب فيما بينهم انصار وقيادات الخط الثاني.

الا انهم لم ينفذوا جيش اسامة ، وتخلفوا عنه ، سواء عن سابق اصرار ومعرفة بالهدف من بعثهم فيه ، أو لأشفاقهم على حالة الرسول كما زعموا.

وقد قال الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ :

«نفذوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عن جيش اسامة»

وقد جاء تفاصيل ذلك في نص صريح مأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه :

ثم أمر رسول الله بتوجيهه الجيش الذي وجهه مع اسامة بن زيد عند الذي احدث الله به من المرض الذي توفاه فيه فلم يدع النبي احداً من ابناء العرب ولا من الاوس والخزرج وغيرهم من ساير الناس ممن يخاف على نقضه ومنازعته ولا أحداً ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل ابيه أو اخيه أو حميمه الا وجهه في ذلك الجيش ، ولا من المهاجرين والانصار والمسلمين وغيرهم والمؤلفة قلوبهم والمنافقين ، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه ولا يدفعني دافع عن الولاية ، والقيام بأمر رعيته من بعده ، ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أمر امته ان يُمضي جيش اسامة ولا يتخلف عنه احد ممن انهض معه ، وتقدم في ذلك اشد التقدم ، وأوعز فيه ابلغ الايعاز ، وأكد فيه اكثر التأكيد .

فلم أشعر بعد ان قبض النبي صلى الله عليه وآله الا برجال من بعث اسامة بن زيد واهل عسكرة قد تركوا مراكزهم ، واخلّوا بمواضعهم ، خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما انهضهم له ، وامرهم به ، وتقدم اليهم من ملازمة اميرهم ، والسير معه تحت لوائه حتى ينفذ لوجهه الذي انفذه اليه ، فخلفوا اميرهم مقيماً في عسكره ، واقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً الى حل عقدة عقدها الله عزوجل ورسوله لي في اعناقهم ، فحلّوها ، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه ، وعقدوا لانفسهم عقداً ضجت به اصواتهم ، واختصت به اراؤهم ، من غير مناظرة لاحد من ــ بني عبد المطلب ــ أو مشاركة في رأي ، أو استقالة لما في اعناقهم من بيعتي .

فعلوا ذلك ، وانا برسول الله مشغول ، و بتجهيزه عن ساير الاشياء مصدود ، فانه كان اهمها واحق ما بديء به منها ، فكان هذا ياأخا اليهود اقرح ما ورد على قلبي مع الذي انا فيه من عظيم الرزية ، وفاجع المصيبة ، وفقد من لا خلف منه الا الله تبارك وتعالى ، فصبرت عليها اذ أتت بعد اختها على تقاربها ، وسرعة اتصالها .

ثم التفت عليه السلام الى اصحابه فقال : أليس كذلك ؟ قالوا : بلى ياأمير المؤمنين عليه السلام .(١١)

• كيف طالب الامام بحقه :

ولم يشأ الامام علي عليه السلام ان يحمل السيف و يأخذ حقه بقوة السلاح ، لامرين ــ كما يبدو للباحث في تاريخه ــ :

أولاً : لانه لم يجد تجاوباً كافياً لدى المؤيدين له ، مما كان يجعل مطالبته نوعاً من المغامرة .

ثانياً : خشيته على الاسلام ان يرتد عنه اولئك الذين لما يدخل الايمان في قلوبهم ..

ولقد اشار عليه السلام الى هذين الامرين في اكثر من مناسبة ، نذكر

(١١) موسوعة البحارج / (٢٨) ــ ص / (٢٠٧).

منها قوله ـ في حديث مفصل يأتي انشاء الله ـ فقلت يارسول الله فما تعهد الي اذا كان (ذاك) ؟ فقال :

«ان وجدت اعواناً فبادر اليهم وجاهدهم ، وان لم تجد اعواناً كف يدك ، واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً» (١٢)

وقال ـ وهو يوضح موقفه من السلطة عموماً بعد بيعة عثمان ـ :

«لقد علمتم : اني احق الناس بها من غيري ، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور الا عليّ خاصة ، التماساً لاجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه» (١٣)

ولقد طالب الامام بحقه ومشى الى المهاجرين والانصار وحرّضهم على الدفاع عنه وانهض كبار شيعته وأهل بيته ، لأعلان حقه ، مما جعل الناس يعرفون بخطأ مبادرتهم للبيعة .. بل جعل الخليفة الثاني يقول : ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد اليها فاضربوا عنقه .

---

(١٢) موسوعة البحارج (٢٨) / ص (١٩١).

(١٣) المصدر / ص (١٠٢).

ان البعض يحاول ان يوهم الينا ان انتقال السلطة الى الخليفة الاول تم بهدوء، من أجل ان يضفي على عهده بصبغة القداسة، والعصمة عن الخطأ، ولعل منشأ هذا الرأي الحمية للاسلام، بما يخالف واقعيات التاريخ.

والواقع: ان خلط الدين بالتراث، ومحاولة تقديس الماضي بايجابياته وسلبياته هو المسؤول عن مثل هذه النظرة الساذجة.

ان عشرات المئات من النصوص الدينية والتاريخية، التي لا يرقى اليها ادنى شك، تؤكد ان من كان حول الرسول لم يكونوا الا بشراً، فيهم الصالحون، وفيهم الكثير من المنافقين والفاسقين، وكان فيهم من قال عنه الامام عليه السلام:

«لقد رأيت اصحاب محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ فما ارى احداً يشبههم منكم! لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم»(١٤)

كما كان فيهم من عشق السلطة، وسعى اليها على تلال من جثث

---

(١٤) نهج البلاغة / ص (١٤٣).

القتلى دون اي وازع من دين أو ضمير، وكان فيهم من اكثر من الكذب حتى حذر الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ من ذلك قائلاً :

«ستكثر من بعدي القالة، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»

وكان فيهم من يقول عنه الرب سبحانه :

«وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين» (١٥)

وقال عز من قائل :

«وممن حولك من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق.. لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم» (١٦)

---

(١٥) (١٤٤) / آل عمران.

(١٦) (١٠١) / التوبة.

وقال تعالى :

«ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» (١٧)

وقال سبحانه :

«ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» (١٨)

وقد نقل المحدثين جميعاً عن الرسول النصوص التي تؤكد ان بعض اصحابه ينحرفون من بعده .

اذاً كيف يمكن تصور القداسة فيهم وانهم سلموا السلطة الى أهلها من دون صراع . علماً بان الروايات التاريخية الصحيحة شهدت بوجود هذا الصراع على اشده ، منذ يوم السقيفة . ولم يلبث ان اصطبغ الصراع بلون

(١٧) (٢٥) / التوبة.
(١٨) (٥٤) / التوبة.

الدم في حادثة مالك بن نويرة ، الذي ابى اعطاء الزكاة للخليفة الاول . فبعث اليه قائداً عربياً عريقاً في الجاهلية ممن انضم الى الرسالة بعد الفتح ، واضحى سيفاً مسلولاً بيد الدولة وهو خالد بن الوليد ، الذي فتك بمالك وانتهك عرضه ومضى عبرة لكل القبائل التي ربما فكرت بالتمرد على السلطة الجديدة .

واستمرت سلسلة الصراعات حتى انتهت بالحروب الداخلية التي جرت في عهد الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلولا وجود خلفيات لهذه الصراعات لم تكن لتظهر بتلك الصورة الدموية .

بيد ان الباحث يقتنع من خلال عشرات الشواهد التاريخية ان الامام علياً عليه السلام لم يكن يرغب في تحويل الصراع الى تنافس سياسي على السلطة ، ولا يرضى بتصعيده الى حرب دامية ، ولا حتى باعتزال الساحة السياسية ، بل كان يشارك الخلفاء في كافة الشؤون ، و يلي امورهم ويحل معضلا تهم .

ومن جهة ثانية ، كان الخلفاء يذعنون لفضل الامام .. و يعملون بنصائحه وقضاءه و يشيدون به في اكثر من مناسبة .

فلقد شاع قول الخليفة الاول .. اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم .

وتواتر الحديث عن الخليفة الثاني :

«لولا علي لهلك عمر»

حيث قالها في اكثر من مأة مناسبة .

وقال :

«معضلة وليس لها أبو الحسن»

وانما قالها عمر لمزيد من المشاكل التي حلها الامام عليه السلام واراح منها المسلمين .

وقد ثبت تاريخياً : ان اصحاب الامام قد تولوا كثيراً من المناصب الادارية والعسكرية للدولة ، فسلمان تولى ولاية فارس في المدائن ، وهو من اقرب انصار الامام ، واشدهم اخلاصاً له . والامام الحسن المجتبى ــ عليه السلام ــ شارك في جيش الاسلام الذي فتح الله على يديه بلاد الفرس ، كما ان الامام نفسه استخلفه الخليفة الثاني عند ذهابه الى فلسطين ونستوحي من حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام ان الحكم في عهد الخليفة الاول والثاني كان يشبه حكماً ائتلافياً بين الاجنحة المختلفة .. بينما استبد جناح بني امية بالحكم في عهد الخليفة الثالث ، وخلص الحكم ــ بعد الانتفاضة وقتل الخليفة ــ للجناح الاول . الذي

كان يقوده الامام علي وأولي البصائر من المهاجرين والانصار!

ولذلك ثأرت ثائرة الجناح الاول في عهد عثمان. وتمرد الامويون ومن اتبعهم على حكم الامام علي .. عليه السلام.

● سيدة النساء النصيرة الاولى للامام :

هكذا أُفرزت الاجنحة السياسية بوفاة الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ وحددت ملامح المعارضة الرسالية التي طالبت بعودة الامام علي الى الحكم. لانه الافضل ولان الرسول الذي لا ينطق عن الهوى قد أمر بذلك وشدد أمره باخذ العهود والمواثيق.

وكانت بنت رسول الله، فاطمة الزهراء عليها السلام أشد المدافعين عن الامام واقواهم وبالرغم من أنها لم تعش بعد والدها طويلاً، لانها صُفِّيت، وكانت اول من يلتحق بابيها، الا ان معارضتها الشجاعة فتحت ابواب المعارضة امام انصار الامام، واعطتهم المنهج وشحنت ارادتهم بالعزم خصوصاً بعد استشهادها ووصيتها بان يخفى محل دفنها، ولا يحضر جنازتها من ظلمها..

ولقد اصبحت شهادة فاطمة عليها السلام راية ظلامة حارب تحت ظلها كل المحرومين عبر التاريخ..

ان غيابها المبكر و بتلك الصورة الفجيعة ، جددت احزان المسلمين بفقد الحبيب محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ . وأثارت في القلوب المجروحة بمصيبة الرسول زوبعة من العواطف الصادقة التي تحولت مع الزمن الى قوة تحدي لا تقهر..

لقد حفرت كلماتها المضيئة في افئدة الناس انهراً من الحماس والتحدي الرسالي.

لقد قالت لنساء الانصار حين زرنها في مرض موتها وقلن لها : كيف اصبحت يابنت رسول الله قالت فيما قالت : لقد زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الامين ، والطبين بأمر الدنيا والدين ، الا ذلك هو الخسران المبين ، ومضت قائلة :

«وما الذي نقموا من أبي الحسن ، نقموا منه ــ والله ــ نكير سيفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله»

ثم قالت :

«استبدلوا والله الذنابى بالقوادم ، والعجز بالكامل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون

صنعاً، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

ويحهم افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون» (١٩)

• اصحاب النبي يدافعون عن الامام :

كيف دافع اصحاب النبي عن حق الامام في الخلافة..

الكتب التاريخية حفظت لنا عشرات الحوادث في ذلك. بيد ان القصة التالية تبدو جامعة حيث احتج كبار الاصحاب على تغيير السلطة بأدلة قوية، وكما أنها تروي ايضاً جانباً هاماً من تاريخ الامام علي عليه السلام والامام الصادق يروي تفاصيل هذه الحادثة التاريخية في حديث مفصل ننتبه هنا ليعكس لنا حالة الامة آنذاك.

وحيث اجتمع فريق من اصحاب رسول الله، فيهم سلمان الفارسي، وابو ذر، والمقداد بن الاسود، و بريرة الاسلمي وعمار بن ياسر، وأخرون الى الامام عليه السلام فقالوا:

يا أمير المؤمنين تركت حقاً انت احق به وأولى منه، لانا سمعنا

(١٩) سيرة الائمة الاثنى عشرج (١) ـ ص (١٢٤).

رسول الله (ص) يقول :

«علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف مال»

ولقد هممنا ان نصير اليه فننزله عن منبر رسول الله (ص) فجئناك نستشيرك ونستطلع رأيك فيما تأمرنا ، فقال أمير المؤمنين (ع) :

«وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم الا حرباً ، ولكنكم كالملح في الزاد ، وكالكحل في العين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لا تيتموني شاهرين اسيافكم مستعدين للحرب والقتال اذا لأتوني فقالوا لي بايع ، والا قتلناك ، فلا بد من ان ادفع القوم عن نفسي وذلك ان رسول الله (ص) اوعز اليّ قبل وفاته وقال لي : ياأبا الحسن ان الامة ستغدر بك بعدي ، وتنقض فيك عهدي ، وانك مني بمنزلة هارون من موسى ، وان الامة من بعدي بمنزلة هارون ومن اتبعه ، والسامري ومن اتبعه»

فقلت يا رسول الله فما تعهد اليّ اذا كان ذلك؟ فقال :

«ان وجدت أعواناً فبادر اليهم وجاهدهم وان لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً»

ولما توفي رسول الله (ص) اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ثم اليت يميناً ان لا ارتدي الا للصلاة حتى اجمع القرآن ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم الى نصرتي فما اجابني منهم الا أربعة رهط منهم سلمان وعمار والمقداد وابو ذر(١) ولقد راودت في ذلك تقييد بيّنتي، فاتقوا الله على السكوت لما علمتم من وغر صدور القوم، و بغضهم لله ولرسوله ولاهل البيت نبيه (ص) فانطلقوا باجمعكم الى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول رسولكم (ص) ليكون ذلك أوكد للحجة، وابلغ للعذر، وابعد لهم من رسول الله (ص) اذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى احدقوا بمنبر رسول الله (ص) وكان يوم الجمعة، فلما صعد ابو بكر المنبر قال المهاجرون للانصار تقدموا فتكلّموا، وقال الانصار

---

(١) قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج (١) ص (١٣١): ومن كتاب معاوية المشهور الى علي(ع): واعهدك امس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويدك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق فلم تدع احداً من أهل بدر والسوابق الا دعوتهم الى نفسك ومشيت اليهم يامرأتك وادليت اليهم بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم الا أربعة أو خمسة.

للمهاجرين بل تكلموا انتم ، فان الله عزوجل ادناكم في كتابه اذ قال الله :

«لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار»

قال ابان : فقلت له : يابن رسول الله ان العامة لا تقرأ كما عندك ، فقال وكيف تقرء يا ابان ؟ قال : قلت : انها تقرأ :

«لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار» (٢)

فقال :

«ويلهم واي ذنب كان لرسول الله (ص) حتى تاب الله عليه منه ، انما تاب الله به على امته»

فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ، وروي انهم كانوا غيباً عن وفاة رسول الله (ص) فقدموا وقد تولى ابو بكر وهم يومئذ اعلام مسجد رسول الله (ص) فقام خالد بن

---

(٢) براءة : (١١٧).

سعيد بن العاص (٣) وقال :

اتق الله يا ابا بكر فقد علمت ان رسول الله (ص) قال ونحن محتوشوه يوم قريظة حين فتح الله له وقد قتل عليٌ يومئذ عدة من صناديد رجالهم ، وأولى البأس والنجدة منهم :

«يا معاشر المهاجرين والانصار اني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمراً فاحفظوه ، الا ان علي بن ابي طالب (ع) اميركم بعدي ، وخليفتي فيكم ، بذلك اوصاني ربي الا وانكم ان لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في احكامكم ، واضطرب عليكم امر دينكم ، ووليكم شراركم الا ان أهل بيتي هم

---

(٣) قال ابن الاثير في أسد الغابة : خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي يكنى ابا سعيد ، كان من السابقين الى الاسلام ثالثاً أو رابعاً بعثه رسول الله عاملاً على صدقات اليمن وقيل على صدقات مذحج وعلى صنعاء فتوفي النبي وهو عليها ولم يزل خالد واخواه عمرو وابان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول الله حتى توفي رسول الله فرجعوا عن أعمالهم فقال لهم ابو بكر : مالكم رجعتم ؟ ما أحد احق بالعمل من عمال رسول الله ارجعوا الى اعمالكم . فقالوا : نحن بنوا ابي احيحة لا نعمل لاحد بعد رسول الله ابداً ، كان خالد على اليمن وابان على البحرين وعمرو على تيماء وخيبر قرى عربية وتأخر خالد واخوه ابان عن بيعة ابي بكر فقال لبني هاشم : انكم لطوال الشجر طيبوا الثمر ونحن لكم تبع ، فلما بايع بنو هاشم ابا بكر بايعه خالد وابان وسيجيء تمام الكلام فيه .

الوارثون لامري ، والعالمون بأمر امتي من بعدي اللهم من اطاعهم من امتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي ، يدركون به نور الآخرة ، اللهم ومن اساء خلافتي في اهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والارض »

فقال له عمر بن الخطاب : اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ، ولا ممن يقتدى برأيه ، فقال خالد : اسكت يا ابن الخطاب فانك تنطق عن لسان غيرك ، وأيم الله لقد علمت قريش انك من الأمها حسباً وأدناها منصباً وأخسها قدراً وأخملها ذكراً وأقلهم غناء عن الله ورسوله ، وانك لجبان في الحروب ، بخيل بالمال لئيم العنصر ، مالك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذكر ، وانك في هذا الامر بمنزلة الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين فأبلس عمر ، وجلس خالد بن سعيد .

٢ ــ ثم قام سلمان الفارسي (٤) وقال : كرديد ونكرديد (وندانيد جه

---

(٤) روي ابن ابي الحديد في شرح النهج ج (٢) ص (١٧) عن ابي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري باسناده عن المغيرة ان سلمان والزبير وبعض الانصار كان هواهم ان يبايعوا علياً بعد النبي

كرديد) اي فعلتم ولم تفعلوا (وما علمتم ما فعلتم) وامتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجيء عنقه، فقال: يا ابا بكر الى من تسند أمرك اذا نزل مالا تعرفه والى من تفزع اذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرك في تقدم من هو أعلم منك واقرب الى رسول الله (ص) واعلم بتأويل كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، ومن قدّمه النبي (ص) في حياته، واوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيته، واخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد خذراً من مثل ما أتيتموه، وتنبيهاً للامة على عظيم ما اجترحتموه من مخالفة أمره، فعن قليل يصفو لك الامر وقد أثقلك الوزر ونقلت الى قبرك، وحملت معك ما اكتسبت يداك، فلو راجعت الحق من قرب وتلافيت نفسك، وتبت الى

فلما بويع ابو بكر قال سلمان للصحابة: اصبتم الخير ولكن اخطأتم المعدن قال: وفي رواية أخرى: اصبتم ذا السن منكم ولكنكم اخطأتم اهل بيت نبيكم، اما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغداً.

قال ابن ابي الحديد: قلت هذا الخبر هو الذي روته المتكلمون في باب الامامة عن سلمان انه قال: (كرديد ونكرديد) تفسره الشيعة فتقول: أراد اسلمتم وما اسلمتم، ويفسره اصحابنا فيقولون معناه اخطأتم واصبتم.

وقال السيد المرتضى في الشافي: (٤٠١): فان قيل: المروي عن سلمان انه قال (كرديد ونكرديد) وليس بمقطوع به قلنا: ان كان خبر السقيفة وشرح ما جرى فيها من الاقوال مقطوعاً به، فقول سلمان مقطوع به، لان كل من روي السقيفة رواه وليس هذا مما يختص الشيعة بنقله فيتهم فيه..

وليس لهم ان يقولوا كيف خاطبهم بالفارسية وهم عرب، وذاك ان سلمان وان تكلم بالفارسية

الله من عظيم ما اجترمت ، كان ذلك اقرب الى نجاتك يوم تفرد في حفرتك و يسلمك ذوو نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا ، ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عما انت متشبث به من هذا الامر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظ للدين والمسلمين في قيامك به ، فالله الله في نفسك ، فقد اعذر من انذر ، ولا تكن كمن ادبر واستكبر.

٣ ــ ثم قام ابوذر فقال : يا معاشر قريش اصبتم قباحة وتركتم

فقد فسره بقوله اصبتم واخطأتم : اصبتم سنة الاولين واخطأتم اهل بيت نبيكم الى آخر ما سيجيء في آخر هذا الباب (تتميم) نقلاً عن تلخيص الشافي.

اقول : ولفظ سلمان على ما في انساب الاشراف (٥٩١/١) العثمانية ص (١٧٢ و ١٧٩ و ١٨٧ و ٢٣٧) (كردا ذونا كرداد) ، فالظاهر من قوله (كرداد ونا كرداد) ان صنيعهم هذا صنيع وليس بصنيع (قال في البرهان : كرداد ــ وزان بغداد بالفتح البناء والاساس وقال : كردار بكسر الاول القاعدة والسيرة : (آئين ــ روش) فنفي الفعل ثانياً بعد اثباته اولاً يفيد ان ما صنعوه لم يكن على وفق الحق ومقتضاه حيث ان الناس وأن كان لا بد لهم من أمير يطاوعون له .: يصدرون عن نهيه و يردون بامره ، ولكن الذي يجب ان يُطاوَع ويُبايَع ليس هو ابوبكر الذي لا يمكنه ان يتخطا خطا النبي (ص) ويحذو حذوه ، ولا له عصمة كعصمة النبي فلا يؤثر في اشعارهم وابشارهم ولا ... والف ولا.

واما الاعتراف بانه كيف خاطبهم بالفارسية اولاً ثم خاطبهم بالعربية ــ وقد اكثر في ذلك الجاحظ في العثمانية ص (١٨٦) فعندي ان ذلك معهود من طبيعة الانسان اذا ان في نفسه نفثه لا يمكنه ان يصدرها كما هي ، اخرجها مهمهما كخواطر النفوس واذا كان عارفاً بلسانين كسلمان الفارسي اصدر النفثة بلسان غير لسان المخاطبين ثم مضى في كلامه بلسانهم ، فروي تلك الكلمة من سمعها من سلمان وترجمها من كان يعرف اللغة الفارسية بعد ذلك.

قرابة ، والله لترتدن جماعة من العرب (٥) ولتشكن في هذا الدين ، ولو جعلتم الامر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ولتطمحن اليها عين من ليس من أهلها ، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة ، فكان كما قال ابو ذر.

ثم قال لقد علمتم وعلم خياركم ان رسول الله (ص) قال :

«الامر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ، ثم للطاهرين من ذريتي»

فأطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به اليكم ، فاطعتم الدنيا الفانية ، و بعتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ، ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن أهلها ، ولا تموت سكانها ، بالحقير التافه الفاني الزائل ، وكذلك الامم من قبلكم كفرت بعد انبيائها ، ونكصت على اعقابها ، وغيرت و بدّلت ، واختلفت ، فساو يتموهم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة وعما قليل تذوقون ، و بال امركم ، وتجزون بما قدمت أيديكم ، وما الله

---

(٥) وقد صدق التاريخ كلام ابي ذر هذا حيث ارتدت العرب بعد ما سمعت من ان اصحاب النبي (ص) ابتزوا سلطانه من مقره ، فطمعوا ان يكون لهم ايضاً في ذلك نصيب ، فطغوا على الخليفة ابي بكر واشتهرت طغيانهم هذا بعنوان الردة ، نعم كانت ردة ولكن على من ؟ على الله ورسوله ؟ أو على الخليفة من بعده ؟ سيجيء تمام الكلام في ابواب المطاعن عند خلاف بني تميم وقتل مالك بن نويرة انشاء الله تعالى.

بظلام للعبيد.

٤ ــ ثم قام المقداد بن الاسود وقال : ارجع يا ابا بكر عن ظلمك ، وتب الى ربك ، والزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، وسلم الامر لصاحبه الذي هو أولى به منك ، فقد علمت ما عقده رسول الله (ص) في عنقك من بيعته ، والزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد وهو مولاه ، ونبّه على بطلان وجوب هذا الامر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما الى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي انزل الله تعالى فيه على نبيه (ص) :

«ان شانئك هو الابتر»

فلا اختلاف بين أهل العلم انها نزلت في عمرو ــ وهو كان اميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي انفذه رسول الله (ص) في غزاة ذات السلاسل(٦) وان عمراً قلد كما حرس عسكره فمن الحرس الى الخلافة ؟ اتق الله و بادر الاستقالة قبل فوتها ، فان ذلك اسلم في حياتك

---

(٦) البلاذري (١/٣٨٠) وفي السير ان رسول الله بعث عمرو بن العاص اولاً ثم بعث ابا عبيدة مدداً له وفيهم ابو بكر وعمر فاجتمعوا تحت قيادة عمرو، راجع سيرة ابن هشام ج (٢) ص (٦٣٢) ، اسد الغابة ج (٤) ص (١١٦) بترجمة ابن العاص منتخب كنز العمال ج (٤) ص (١٧٨) ، تاريخ الطبري ج (٣) ص (٣٢) ، ولعمرو بن العاص ترجمة اضافية من شتى نواحي البحث تراها في كتاب الغدير ج (٢) ص (١٢٠ ــ ١٧٦).

وبعد وفاتك ، ولا تركن الى دنياك ، ولا تغررك قريش وغيرها ، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ، ثم تصير الى ربك فيجزيك بعملك وقد علمت وتيقنت ان علي بن ابي طالب (ع) صاحب هذا الامر بعد رسول الله (ص) فسلمه اليه بما جعله الله له فانه أتم لسترك واخف لوزرك فقد والله نصحت لك ان قبلت نصحي ، والى الله ترجع الامور.

٥ ــ ثم قام بريدة الاسلمي (٧) فقال انا لله وانا اليه راجعون ، ماذا

---

(٧) بريدة بن الحصيب الاسلمي ابو ساسان وابو عبد الله كان ذا بيت كبير في قومه مر به رسول الله مهاجراً فاسلم هو ومن معه وكانوا ثمانين بيتاً فصلوا خلف رسول الله (ص) العشاء الآخرة ثم قدم عليه (ص) بعد غزوة احد وشهد معه المشاهد كلها وولاه رسول الله صدقات قومه ، روي انه لما سمع بفوت النبي (ص) وكان في قبيلته ، اخذ رايته فنصبها على باب بيت أمير المؤمنين فقال له عمر: الناس اتفقوا على بيعة ابي بكر ، مالك تخالفهم ؟ فقال : لا ابايع غير صاحب هذا البيت.

وأما حديث التسليم على علي بامرة المؤمنين فقد اخرجه العلامة المرعشي دام ظله في ذيل الاحقاق عن معاجم كثيرة من كتب أهل السنة راجع ج (٤) ص (٢٧٥) وما بعده.

وأما حديث خلافة فقد روي علم الهدى في الشافي (٣٩٨) عن الثقفي باسناده عن سفيان بن فروة عن ابيه قال : جاء بريدة حتى ركز رايته في وسط اسلم ثم قال : لا أبايع حتى يبايع علي بن ابي طالب فقال علي : يا بريدة ادخل فيما دخل فيه الناس ، فان اجتماعهم احب الي من اختلافهم اليوم ، وباسناده عن موسى بن عبد الله بن الحسن قال : ابت اسلم ان تبايع ، فقالوا : ما كنا نبايع حتى يبايع بريدة لقول النبي (ص) لبريدة (علي وليكم من بعدي) قال : فقال علي : ان هؤلاء خيروني ان يظلموني حقي وابايعهم ، وارتد الناس حتى بلغت الردة احداً فاخترت ان اظلم حقي وان فعلوا ما فعلوا.

اقول : وحديث بريدة (يا بريدة لا تبغض علياً (لا تقع في علي) ان علياً مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) من المتواترات وقد اخرجه اصحاب الصحاح راجع مسند الامام ابن حنبل ج (٥) ص (٣٥٦) ، خصائص النسائي : (٣٣) شرح النهج الحديدي ج (٢) ص (٤٣٠) مجمع الزوائد ج

لقي الحق من الباطل يا ابا بكر انسيت ام تناسيت ام خدعتك نفسك سولت لك الأ باطيل أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله (ص) من تسمية علي (ع) بإمرة المؤمنين، والنبي بين اظهرنا، وقوله في عدة أوقات: هذا أمير المؤمنين، وقاتل القاسطين، فاتق الله وتدارك نفسك قبل ان لا تدركها وانقذها مما يهلكها، واردد الامر الى من هو أحق به منك، ولا تتماد في اغتصابه، وراجع وانت تستطيع ان تراجع، فقد محصتك النصح، ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين.

٦ ــ ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش يا معاشر المسلمين ان كنتم علمتم والا فاعلموا ان أهل بيت نبيكم أولى به واحق بأرثه، وأقوم بامور الدين وآمن على المؤمنين، واحفظ لملته، وانصح لأمته، فمروا صاحبكم فليرد الحق الى أهله قبل ان يضطرب حبلكم، و يضعف امركم، و يظفر عدوكم، و يظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم، وتختلفون فيما بينكم، و يطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم ان بني هاشم أولى بهذا الامر منكم، وعلي من بينهم وليكم بعهد الله، و برسوله، وفرق ظاهر قد

---

(٩) ص (١٢٧) وهكذا حديث عمر ان بن الحصين و يقال انه اخا بريدة لامه اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده: (١١١) تحت الرقم (٨٢٩)، الترمذي في صحيحة ج (٥) ص (٢٩٦)، تحت الرقم (٣٧٩٦) و (٣٨٠٩) واخرجه عنه في مشكاة المصابيح (٥٦٤) جامع الاصول (٤٧٠/٩)، ورواه النسائي في الخصائص: (٣٣ و ٢٦) مستدرك الصحيحين ج (٣) ص (١١٠)، الى غير ذلك من المعاجم الحديثية راجع بسط ذلك في ذيل الاحقاق ج (٥) ص (٢٧٤ ــ ٣١٧).

عرفتموه في حال بعد حال عند سد النبي (ص) ابوابكم التي كانت الى المسجد فسدها كلها غير بابه (٨) وايثاره اياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها اليه منكم ، وقوله (ص) :

«انا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن اراد الحكمة فليأتها من بابها»

وانتم جميعاً مصطرخون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم اليه ، وهو مستغن عن كل احد منكم ، الى ماله من السوابق التي ليست لافضلكم عند نفسه ، فما بالكم تحيدون عنه ، وتغيرون على حقه ، وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، بئس للظالمين بدلا اعطوه ما جعله الله له :

«ولا تتولوا عنه مدبرين ولا ترتدوا على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين»

---

(٨) حديث سد الابواب الا باب علي (ع) قد مر في ج (٣٩) ص (١٩ ــ ٣٤) من بحار الانورا تاريخ مولانا امير المؤمنين (ع) واخرج المؤلف العلامة من روايات الفريقين في ذلك ما فيه غناء وكفاية ، وان شئت راجع ذيل الاحقاق ج (٥) ص (٥٤٠ ــ ٥٨٦) فقد اخرجه عن الترمذي ج (١٣) ص (١٧٣) ط الصاوي بمصر ، وهو في ط الاعتماد ج (٥) ص (٣٠٥) تحت الرقم (٣٨١٥) ، وعن النسائي في الخصائص (١٣ و ١٤) والحافظ ابي نعيم في الحلية (١٥٣/٤) ، ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية (٣٣٨/٧) ، ابن حنبل في مسنده ج (٤) ص (٣٦٩) ، الحاكم في مستدركه (١٢٥/٣) وللعلامة الاميني قدس سره في كتابه التدبر بحث ضاف ونظرة ثاقبة في حديث سد الابواب من شاءها فليراجع ج (٣) ص (٢٠٢) وما بعده.

٧ ــ ثم قام ابي بن كعب(٩) فقال : يا ابا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيه وصفيه ، وصدف عن أمره ، اردد الحق الى أهله تسلم ، ولا تتماد في غيك فتندم ، و بادر الانابة يخف وزرك ولا تخصص بهذا الامر الذي لم يجعله الله لك نفساً ، فتلقى و بال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه ، وتصير الى ربك ، فيسئلك عما جنيت «وما ربك بظلام للعبيد» .

ومما يناسب ذكره هنا ان الترمذي ج (٥) ص (٢٧٨) روي باسناده عن عروة عن عائشة (ان النبي (ص) امر بسد الابواب الا باب ابي بكر) ولفظ البخاري (٥/٥) (لا يبقين في المسجد باب الاسد ، الا باب ابي بكر) ولم يتفطنوا ان النبي لم يأمر بسد الابواب الا بابه للخلة ولا للقرابة ، وانما أمر بسد الابواب لحكم شرعي اقتضى ذلك ، وهو انه لا يحل لاحد ان يستطرق جنباً مسجد الرسول (ص) الا من كان طاهراً طيباً بنص آية التطهير ، ولذلك قال (ص) : (ياعلي لا يحل لاحدان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك) رواه الترمذي في ج (٣٠٣/٥) تحت الرقم (٣٨١١) البيهقي في سننه (٦٥/٧) ، الخطيب التبريزي في مشكاة المصابي (٥٦٤) ، العسقلاني في تهذيبه (٣٨٧/٩) الى غير ذلك مما تجده في ذيل الاحقاق.

واما حديث (انا مدينة العلم وعلي بابها) فقد مضى البحث عنه في ج (٤٠) ص (٢٠٠ ــ ٢٠٧) من تاريخ أمير المؤمنين (ع) وان شئت راجع ذيل الاحقاق ج (٥) ص (٤٦٩ ــ ٥١٥) اخرج الحديث بالفاظه عن معاجم كثيرة منها المستدرك (١٢٦/٣ و١٢٧) تاريخ بغداد (٣٧٧/٢) انساب السمعاني (١١٨٢) تاريخ الخلفاء : (٦٦).

(٩) استعرض ابو الفداء في كتابه المختصر في اخبار البشر حديث السقيفة قائلا : بادروا سقيفة بني ساعدة فبايع عمر ابا بكر وانثال الناس يبايعونه خلا جماعة من بني هاشم والزبير وعتبة بن ابي لهب وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وابي ذر وعمار بن ياسر وراء بن عازب ، وابي بن كعب ، وابي سفيان من بني امية ومالوا مع علي رضي الله عنهم.

وقال اليعقوبي في تاريخه (١١٤/٢) انه تخلف عن بيعة ابي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي .. ثم ذكر هؤلاء الجماعة المفكرين لبيعته.

٨ ــ ثم قام خزيمة بن ثابت فقال : ايها الناس ألستم تعلمون ان رسول الله (ص) قبل شهادتي وحدي ، ولم يرد معي غيري ؟ قالوا بلى قال : فاشهد اني سمعت رسول الله (ص) يقول :

«أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الائمة الذين يُقتدى بهم»

وقد قلت ما علمت ، وما على الرسول الا البلاغ المبين.

٩ ــ ثم قام ابو الهيثم بن التيهان فقال : وانا أشهد على نبينا (ص) انه أقام عليا (ع) ــ يعني في يوم غدير خم ــ فقالت الانصار ما أقامه الا للخلافة ، وقال بعضهم ما أقامه الا ليعلم الناس انه مولى من كان رسول الله (ص) مولاه ، واكثروا الخوض في ذلك ، فبعثنا رجالا منا الى رسول الله (ص) فسألوه عن ذلك ، فقال : قولوا لهم :

«علي (ع) ولي المؤمنين بعدي ، وانصح الناس لامتي وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان يوم الفصل كان ميقاتاً»

١٠ ــ ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي محمد (ص) ثم قال : يا معاشر قريش أشهدوا على أني اشهد على رسول الله (ص) وقد رأيته في هذا المكان يعني الروضة ، وهو آخذ بيد علي

بن ابي طالب (ع) وهو يقول :

«أيها الناس هذا علي أمامكم من بعدي ، ووصي في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ، ومنجز وعدي ، وأول من يصافحني على الحوض ، فطوبى لمن تبعه ونصره ، والويل لمن تخلف عنه وخذله»

١١ ــ وقام معه اخوه عثمان بن حنيف فقال : سمعنا رسول الله (ص) يقول :

«أهل بيتي نجوم الارض فلا تتقدموهم ، وقدموهم فهم الولاة بعدي»

فقام اليه رجل فقال : يارسول الله واي أهل بيتك ؟ فقال (ص) :

«علي والطاهرون من ولده»

وقد بين (ص) فلا تكن يا ابا بكر أول كافر به ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون .

١٢ ــ ثم قام ابو ايوب الانصاري فقال : اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم وردوا اليهم حقهم الذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما

سمع اخواننا في مقام بعد مقام لنبينا (ع) ومجلس بعد مجلس يقول أهل بيتي ائمتكم بعدي، و يومي الى علي (ع) و يقول هذا أمير البررة، وقاتل الكفرة، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا الى الله من ظلمكم ان الله تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

قال: الصادق (ع) فافحم ابو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً ثم قال: (ولّيتكم ولست بخيركم اقيلوني اقيلوني)(١٠) فقال عمر بن الخطاب: انزل عنها يالكع.

• كيف قيّم الامام الشيخين:

كيف عاش الامام في عهد الشيخين؟ وكيف قيّم هذا العهد؟

لقد عاش صابراً يسعى لاصلاح الوضع ما استطاع الى ذلك سبيلا، و يربي جيلاً من الرساليين، و يشكل قوة ضغط ضد الانحرافات

---

(١٠) روي حديث اقالته هذا في الصواعق المحرقة: (٣٠) ولفظه (اقيلوني اقيلوني لست بخيركم) الامامة والسياسة (٢٠) ولفظة بعد ما قالت السيدة فاطمة في محاجة لها معه: (والله لادعون الله عليك في كل صلاة اصليها) (فخرج ابو بكر باكياً فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً باهله وتركتموني وما انا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي.

ورواه في مجمع الزوائد ج (٥) ص (١٨٣) نقلاً عن الطبراني في الاوسط ولفظه (قام ابو بكر الصديق الغد حين بويع فخطب الناس فقال: أيها الناس اني قد اقلتكم رأيي اني لست بخيركم فبايعوا خيركم) ونقله في شرح النهج ج (١) ص (٥٦) وقال: اختلف الرواة في هذه.

الاجتماعية ، وضد جناح بني امية الذين كانوا يسعون للتسلل الى اجهزة الحكم .

و يصف الامام هذا العهد وصفاً دقيقاً في خطبته المعروفة بالشقشقية ، ونستغني نحن بدورنا ، عن المزيد من التفاصيل بشرح فقرات هذه الخطبة التي اوجزت في كلماته ما يمكن ان تتسع لها موسوعة تاريخية .

يذكر الامام في هذه الخطبة التي انهدرت عنه ، كما الشقشقية ، تنهدر من الابل و يذكر أن ابا بكر لبس الخلافة كما القميص في الوقت الذي كان يعلم اني احق بها ، حيث اني كقطب رحا الخلافة ومثل القمة التي ينحدر عنها السيل ، ولا يبلغها الطير لشموخ محلها ، اما اني ، فقد ارخيت عليها ستاراً، لماذا ؟لاني بدأت افكر بين أمرين : هل أقدم ولا يد لي، ام احجم واصبر على ظلام اعمى يطول حتى يجعل الكبير هرماً ، والصغير اشيب ، والمؤمن كادحاً حتى يلقىٰ ربه ؟

قال بالنص(١١) :

«أما والله لقد تقمصها (١٢) فلان (ابن ابي قحافة) وانه ليعلم ان محلّي منها محلّ القطب من

---

(١١)ننقل النص والتعليقات من نهج البلاغة تحقيق د . صبحي الصالح .

(١٢)تقمصها : لبسها كالقميص .

الرحا ينحدر عني السيل ، ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً (١٣) ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت ارتئي بين اصول بيد جذاء (١٤) ، أو أصبر على طخية عمياء (١٥) ، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير ويكن فيها مؤمن حتى يلقى ربّه»

ثم يبين الامام انه رأى الصبر اقرب الى الرشد ، والعقل ، فصبر صبر من اصاب عينه قذى أو وقف في حلقه عظمة لأنّه يرى ما أورثه النبي (ص) من الخلافة يُنتهب منه نهباً ، وظل على هذه الحال ، حتى مضى الخليفة الاول لسبيله (وتوفاه الله) فأوصى بالخلافة (للخليفة) الثاني.

و يتسائل الامام : كيف كان ابو بكر يستقيل من الخلافة في حياته ، ثم يتشبث بها حتى بعد مماته ، بلى كانت معاهدة بينهما ان يقتسماها .

يقول بالنص :

«فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت ،

---

(١٣) سدل الثوب : ارخاه.

(١٤) الجذاء بالجيم والذال المعجمة : المقطوعة.

(١٥) الطخية : الظلمة.

وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا (١٦) أرى تراثي نهباً (١٧) حتى اذا مضى الاول لسبيله ، فادلى بها الى فلان بعده»

ثم تمثل بقول الاعشى :

شتان ما يوْمي على كورها (١٨) ويومُ حيَّان أخي جابر

«فيا عجباً ! بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرّا ضرعيها» (١٩)

ثم يصف شخصية الخليفة الثاني ، فيقول :

«لقد وضع الاول الخلافة في محل خشن كما يزداد اذا جرح احدث جرحاً غليظاً ، واذا اقتربت منه يصعب عليك مسّه ، و(بذلك) تكثر عنده الكبوات والاعتذار منها ، وقد

---

(١٦) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(١٧) التراث : الميراث.

(١٨) الكور : الرحل او هو مع اداته.

(١٩) تشطرا ضرعيها : اقتسماها ، فاخذ كل منها شطراً : والضرع : ثدي الناقة.

اصبحت السلطة كالابل الصعبة اذا اوقفها صاحبها اضربها حيث يخرم اذنها . واذا تركها اقتحمت المهالك، وهكذا اضحت السلطة، لا تنفع الشدة فيها، لانها تضر بالناس، ولا يصح الاهمال لانه يفسدها»

و يبدو ان الامام يشير بذلك الى ان حزمه ولينه لم يكونا بقدر مناسب ولا كانا في الموقع المناسب، بل كان شديداً في مقام يتناسب اللين. ولينا عندما يستوجب الشدة.

ثم يصف حال الناس الذين اصيبوا بخبط فلم يعرفوا الهدى عن الضلال، كما ابتلوا بحالة التمرد انتهى بهم الى حالة النفاق، والسير على غير هدى، ولكن مع طول المدة وشدة المحنة آثرت الصبر و يقول الامام عليه السلام:

«فصبرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها (٢٠) ويخشن مسها و يكثر العثار (٢١) فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة (٢٢)، ان

---

(٢٠) كلمها: جرحها: كانه يقول: خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(٢١) العثار: السقوط والكبوة.

(٢٢) الصعبة: من الابل: ما ليست بذلول.

اشنق (٢٣) لها خـرَمَ (٢٤) وإن أسلس (٢٥) لها
تقحَّم (٢٦) فَمُني الناس (٢٧) ــ لعمر والله ــ
بخبْطٍ (٢٨) وشِماس (٢٩) وتلونٍ واعتراض (٣٠)
فصبرت على طول المدة وشدة المحنة»

ثم يصف الشورى التي أمر بها الخليفة الثاني حيث جعلها في ستة و يتنفس الامام الصعداء و يقول:

«من كان يشك في انه افضل من الاول،
فكيف يوضع عند امثال هو كلام الاقران
المتشابهون مع بعضهم وليس معه»

وقد قبل الامام (لما رآه من مصلحة الدين) بالوضع:

---

(٢٣) اشنق البعير وشنقه: كفه بزمام حتى الصق ذخراه (العظم النانيء خلف الاذن) بقادمة الرحل.

(٢٤) خرم: قطع.

(٢٥) اسلس: ارخى.

(٢٦) تقحم: رمى نفسه في القحمة اي الهلكة.

(٢٧) مني الناس: ابتلوا.

(٢٨) خبط: سير على غير هدى.

(٢٩) الشماس: بالكسر ــ اباء ظهر الفرس عن الركوب.

(٣٠) الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كانه يسير عرضاً في حال سيره طولاً.

« كأنه واحد من سرب الطيور اذا هبطوا هبط معهم ، وان حلقوا طار معهم » .

يقول الامام :

« حتى اذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم اني احدهم فياالله وللشورى ، متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم ، حتى صرت أُقرن الى هذه النظائر(٣١) ، لكنني اسففت(٣٢) اذ اسفوا ، وطرت اذ طاروا »

ويمضي الامام في حديثه يصف عهد الخليفة الثالث ومن بعده مما نتحدث عنه تباعاً .

• كيف قتل الخليفة الثاني ؟

يرى بعض الباحثين : ان الحزب الاموي كان وراء مقتل الخليفة الثاني ، خصوصاً وأنه قد ضيق عليهم في أواخر عهده ، فهذا عمرو بن العاص يتأفف و يقول : لعن الله زماناً صرت فيه عاملا لعمر بن الخطاب ،

---

(٣١) النظائر : جمع نظير اي المشابه بعضهم بعضاً دونه .

(٣٢) اسف الطائر دنا من الارض .

ومغيرة يحقد عليه ، لأنه عزله عن البصرة بعد اتهامه بالزنا ، وفي اكثر من مناسبة ، كان يخاطبه قائلاً : والله لا اظن ابا بكرة قد كذب عليك .

و يرى عبد الرحمن بن ابي بكر ان جفينة غلام سعد بن ابي وقاص كان مشتركاً في الجريمة وسعد كان تربطه بالبيت الاموي قرابة حميمة ، حيث ان امه كانت اخت ابي سفيان .

والواقع : ان الاسباب التي يرى المؤرخون انها كانت وراء اقدام ابي لؤلؤة على اغتيال الخليفة الثاني ، تافهة ، ولا يمكن ان تصمد امام النقد ، حيث ان مجرد رفع مغيرة مولاه الضريبة عليه لا تدعو لاغتيال الخليفة ، بل لأغتيال مولاه ، الذي تذهب اليه الضريبة مباشرة ، فلما أشرف الخليفة على الوفاة جعلها شورى بين ستة . وجعل الامام علياً عليه السلام واحداً منهم ، أما الباقون فهم عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص .

وكان واضحاً من طبيعة الشورى ، ومن وصية عمر بان يؤخذ برأي الثلاثة ، الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، الذي كان يفضل صهره عثمان ، ان الخليفة الثاني ، اختار خليفته بلباقة ، ولعله فعل ذلك بوحي مخاوفه السابقة من انتقال الخلافة الى الامام ، باعتباره النجم اللامع الذي اذا سطع في سماء الخلافة ، لم يبق لغيره بريق ، أو لم يقل — وهو

يستعرض صفات الستة ، و ينعت كل واحد منهم بابشع الصفات ، الا علياً . فيقول فيه : لله انت لولا دعابة فيك اما والله لو وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

ان خلافة علي عليه السلام كانت تنسف الأسس التي بناها الخليفتان من قبله ، ولعله لذلك رفض الامام شرطاً من عبد الرحمن بن عوف عليه بان يعمل بسيرة السيخين .

الا ان الامام حين خرج من بيت الشورى وقد تمت البيعة ، لعثمان بن عفان قال :

«نحن اهل بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، امان لاهل الارض ، ونجاة لمن طلب ، ان لنا حقاً ان نعطه اخذناه ، وان نمنعه نركب اعجاز الابل»

(اي نكون تبعاً لغيرنا) .

ثم التفت الى ابن عوف وقال :

«ليس هذا باول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . والله ما وليّته

الامر الا ليرده عليك»(١)

وقال أيضاً :

«أيها الناس ! لقد علمتم اني احق الناس بهذا الامر من غيري أما وقد انتهى الامر الى ما ترون فو الله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن جور الا عليّ خاصة ، التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة»(٢)

• بنو امية تتسلل الى السلطة :

اذا كانت معادلة السلطة مالت في اخريات ايام الخليفة الثاني الى جانب الخط الرسالي ، فانها فسدت في عهد الخليفة الثالث ، لمصلحة الخط الاموي بعد نجاح هذا الخط في دعم خلافة واحد منهم ، واخفاء آثار اغتيال الخليفة ، بقتل المشاركين فيها من غير حزبهم !

وهكذا لم يكن تسلل بني امية الى السلطة في عهد الخليفة الثالث ، خارجاً عن منطق الاحداث . فانما صعد نجم الخليفة بهم ، ولعل الشرط الثالث الذي اقترحه عبد الرحمن على الامام علي فرفضه وقبله عثمان كان

(١) راجع «سيرة الائمة الاثنى عشر» ص (٣٩٤).

(٢) المصدر (٣٩٧).

محتواه ابقاء امتيازات بني أمية ومنها ولاية الشام لمعاوية ، ولقد قال الخليفة الثاني عند وفاته لعثمان : هبها اليك كأني بك قد قلدتك قريش هذا الامر لحبها اياك ، فحملت بني امية و بني معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء ، فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً ، والله لان فعلت لتفعلن ، ولان فعلت ليفعلن بك ، ثم اخذ ناصيته وقال : فاذا كان ذلك فاذكر قولي . (٢)

هكذا أوجز بعض المؤرخين الوضع في عهد الخليفة الثالث فقال :

لقد اوطأ بني امية رقاب الناس ، وولاهم الولايات ، واقطعهم القطائع ، وافتتحت ارمينية في زمانه فأخذ الخمس كله ووهبه لمروان .

وطلب منه عبد الله بن خالد بن اسيد ، خلة فاعطاه اربعمائة الف درهم ، وافتتح خلافته بارجاع الحكم بن ابي العاص و بنيه واسرته الى المدينة بعد ان طردهم رسول الله (ص) منها . لوم يقبل (رسول الله (ص)) بهم شفاعة أحد أبداً . كما رفض الشيخان ابو بكر وعمر ارجاعهم اليها . وشفاعة المتشفعين بهم .

وقد انكر المسلمون ذلك أشد الانكار . ولكن عثمان لم يلبث ان ولاه

---

(٢) المصدر (٣٨٠).

صدقات قضاعة فبلغت ثلا ثمائة الف درهم فوهبها له .

ثم ان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ كان قد تصدق بموضع سوق في المدينة يُسمَّى (بهزون) على المسلمين فاقطعه ابن عفان الى الحرث بن الحكم شقيق مروان ــ كما يذكر ذلك ابن ابي الحديد ــ .

و يضيف :

اقطع مروان خدعاً وكانت لفاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وحمي المراعي حول المدينة كلها ، منع عنها مواشي المسلمين ، واباحها لمواشي بني امية ، واعطى عبد الله بن سرح وهو اخوه من الرضاعة ، جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقيا .

واعطى ابا سفيان بن حرب مأتي الف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بمأة الف وكان قد زوجه ابنته ام ابان ، فجاءه زيد بن ارقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ووضعها بين يدي عثمان و بكى فقال له لتبكي أن وصلت رحمي فقال : لا ولكن ابكي لانني ظننت انك اخذت هذا المال عوضاً عما كنت تنفقه في حياة رسول الله ، والله لو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً عليه ، فقال له : الق المفاتيح يا ابن ارقم فانا سنجد غيرك .

• الثورة التي لم ترحم :

انشبت بنو امية ، اظفارها في السلطة ، و بدأت تنهب اموال المسلمين نهباً ، وتبني بها حزبها السياسي ، وقوتها العسكرية ، ولانها كانت ذات نفوذ سياسي قبل الاسلام ، ولها علاقات مع القوى السياسية والعسكرية في الجزيرة ، وتجارب سياسية ، ولأن سماحة الاسلام ، وضعف بعض القيادات هيئت لهم فرصة النمو في الظل . فقد حافظوا على افكارهم وتقاليدهم وعلاقاتهم بل وهيكلية قيادتهم طوال الفترة التي كانوا بعيدين فيها عن السلطة ظاهراً ، بالرغم من تداخلهم فيها ..

بلى : ان ابا سفيان وهو قائدهم في الجاهلية وموجههم في الاسلام يزور الخليفة الثالث ، فيجد عنده حاشيته من بني امية ، فيسأل جليسه هل في الحضور غريب ؟ وكان قد كف عن بصره انئذ . فلما اجابه بالنفي واطمأن ابدى ما يجول في خاطره فخاطب قومه : تلاقفوها يابني عبد الدار تلاقف الصبيان الكرة . فو الذي يحلف به ابو سفيان لا جنة ولا نار ، فقام اليه الامام علي (ع) الذي كان حاضراً في طرف المجلس فنهره .. فقال ابو سفيان العتب ليس علي وانما على الذي غرني وقال لا غريب بين الحضور.

وعندما تصاعدت امواج الثورة ضد تصرفات بني امية ، في عهد الخليفة الثالث ، مرّ معاوية وكان يومذاك قائد قوات بني امية واقعاً ، ووالي الشام ـ في الظاهر ـ ، مرّ بقوم من كبار المهاجرين ، فيهم علي وطلحة والزبير

فقال :

انكم تعلمون ان هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه ، حتى بعث الله نبيه فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد ، فان اخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع ، وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ، ورده الله الى غيرهم ، وان الله على البدل لقادر واني قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكاتفوه تكونوا اسعد منه بذلك . (١)

وعرف الحاضرون مغزى كلامه ، فلقد هددهم بأنه وحز به سوف ينقلبون على اصحاب النبي لو لم ينتصروا لعثمان . هكذا يقول ابن ابي الحديد المعتزلي : من هذا اليوم انشب معاو ية اظفاره في الخلافة لانه غلب على ظنه قتل عثمان الا ترى الى قوله ، وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الى غيرهم وهوعلى البدل لقادر . وانما يعني نفسه ولذا تر بص بنصرة عثمان لما استنصره . (٢)

لقد اتم الحزب الاموي استعداده للانقلاب على النظام الاسلامي ، واقامة نظام جاهلي جديد ، يتخذ من الدين وسيلة جديدة للسيطرة .

وثأر الناس من كل مكان ، ولا سيما من الكوفة والبصرة ، ومصر ..

---

(١) في رحاب ائمة أهل البيت ج (١) / ص (٣٤٣).
(٢) المصدر.

ومشى من كل منها الف مسلح الى المدينة . في محاولة للضغط على الخليفة ، وكان هوى اهل الكوفة في الزبير بينما كان اهل البصرة يميلون الى طلحة ، اما أهل مصر فكانوا شيعة الامام عليه السلام .

لم يكن الامام راضياً لفعال الخليفة ولكنه حاول جهده تجنب الفتنة ، وكم كان يسعى لأصلاح ما أفسده بنو امية في الحكم ، الا ان الخرق كان قد استع على راقعه .

ولعل الحديث التالي يكفينا شاهداً على موقف الامام الاصلاحي ، وكيف كان يجابه بضغوط بني امية الغالبين على أمر الخليفة . ولعلهم كانوا ينتظرون أمراً آخر . أو كانت قيادتهم المتمثلة في معاوية تخطط فعلاً لقتل الخليفة عسى ان يتخذوه شعاراً لحركتهم نحو السلطة .

الحديث يقول :

ان الثوار كتبوا الى عثمان يدعونه الى التوبة ، واقسموا له بالله انهم لا يرجعون عنه أبداً ، وغير تاركيه حتى يعطيهم ما يلزمهم من حق الله ، واحس عثمان : ان القوم جادون في طلباتهم ، فارسل الى علي (ع) فلما جاءه قال له : يا ابا الحسن قد كان من الناس ما رأيت وكان مني ما قد علمت ، ولست أمنهم على قتلي فارددهم عني ، فان لهم والله ان اعفيهم من كل ما يكرهون ، وان اعطيهم من نفسي ومن غيري ما يريدون وان في

ذلك سفك دمي.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :

«ان الناس الى عدلك احوج منهم الى قتلك، واني لأرى القوم لا يرضون الا بالرضا، وقد كنت اعطيتهم في المرة الاولى عهد الله ان ترجع عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ولم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرنني ــ هذه المرة ــ من شيء فأني معطيهم عليك الحق»

قال : نعم، فاعطهم والله الآن، فو الله لأفين لهم بكل ما تريد.

فخرج علي الى الناس، وقال :

«أيها الناس! انكم انما طلبتم الحق وقد اعطيتموه، ان عثمان زعم انه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن كل ما تكرهون»

فاقبلوا منه، ووكدوا عليه.

فقال الناس : قد قبلنا فاستوثق لنا منه، فانا والله لا نرضى بقول دون فعل.

فقال لهم : ذلك لكم .

وتمضي الرواية تحدثنا عن ان رسالة خرجت ــ بعد هذ المعاهدة ــ من بيت الخليفة الثالث ، الى عمالة وعليها خاتم الخليفة ، يدعوهم فيها الى نصرته ، وقتل رؤساء المعارضين ، وانه اخذ يتأهب للقتال و يعد جيشاً عظيماً من رقيق الخمس ..

مما أثار شكوك المعارضين ، فعادوا اليه ، وطالبوه بعزل الولاة فوراً ، او خلع نفسه فلم يفعل ، وانكر الرسالة وادعى انها تزو ير عليه .. ولعل اصابع بني امية داخل البيت كانت قد زورت الرسالة وغيّمت سحب الشكوك . ووقعت الفتنة . (١)

وهكذا جرت الرياح في اتجاه العنف ، وقتل عثمان ، وغلب الثوار على المدينة ، ولخص الامام علي عليه السلام الواقعة بعدئذ في كلمتين ، حين قال عن مقتله :

«لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً»

---

(١) سيرة الائمة الاثنى عشرج (١) / ص (٤٢٣ ــ ٤٢٥) نقلاً عن الطبري . ص (١١٢) المجلد الخامس .

وأضاف :

«وأنا جامع لكم امره : استأثر فأساء الاثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع» (٢)

لعل حكم الله الواقع في المستأثر ان يكبو به فرس السلطة و يقتل على فراشه ، وحكمه في الجازع ان يكون كمن يجتني الثمرة في غير اوانها فلا يهنأ بها وهكذا استطاع الحزب الاموي ان يستفيد من مقتل الخليفة اكثر من الثوار. حتى تبرء من مقتل الخليفة من كان من أشد المحرضين عليه ، فهذه أم المؤمنين عائشة كانت تهتف اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وهذا طلحة والزبير، كانا يواصلان التحريض عليه ويجردان الجيوش ضده ، وهذا عمرو بن العاص يؤلب عليه حتى الرعاة ، ولكنهم جميعاً انحازوا الى صف المطالبين بدمه.

ولو سمعوا نصيحة الامام لكانت الخلافة تعود الى مراسيها دون اراقة دماء ، واثارة الفتن.

---

(٢) في رحاب ائمة اهل البيت / ص (٣٤٨).

• الفصل الرابع

■ عهد امامته

• هكذا سعت الخلافة نحو الامام :

حملت امواج الاضطراب سفينة الامة ، بعيداً عن شواطيء الامان ، واجتمع المهاجرون والانصار وفيهم طلحة والزبير، واجمعوا على بيعة الامام فجاؤا اليه مسرعين : لا بد للناس من امام .

قال : لا حاجة لي في امركم فمن اخترتم رضيت به .

قالوا : ما نختار غيرك ، واضافوا : انا لا نجد اليوم أحداً احق بهذا الامر منك .

قال : لا تفعلوا فاني اكون وزيراً خير من ان اكون أميراً .

فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك .

قال : ففي المسجد ، فان بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون الا عن رضا المسلمين.

فخشي الناس علياً ، فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل الاسلام.

فقال :

«دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امراً له وجوه والوان . لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول»

فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نحن فيه الا ترى الاسلام الا ترى الفتنة

فقال :

«قد اجبتكم ، واني ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم» (١)

بلى الامام يرفض الخلافة لان امواج الفتنة قد بلغت اعلى مد ، و يود لو يكون وزيراً يساهم من موقع حر في اخماد نيران الفتنة ، ولكن لا أحد رشح نفسه للخلافة ، ولا أحد كان يقبل بغير الامام.

---

(١) المصدرج / (٢) ــ ص (٤) عن الطبري وابن اثير.

والامام يرفض بيعة أهل الحل والعقد من دون رضا الناس ، انما يرى ذلك حق عامة الناس ، فيجعلها في المسجد على الملأ العام .

و يشترط عليهم بان يقودهم على علمه ، لا بجهلهم ، ووفق سنة الرسول ، لا مصالح اصحابه وضغوط القوى السياسية .

واستقبل الامام عهده ، بالثورة ضد الوضع الفاسد ، وقد عقد عزمات قلبه جميعاً على مواجهة كل تلك العقبات التي خضع لها أو توقف عندها من كان قبله ، واعظمها القوة السياسية المتنامية عند بني امية ، ومن تحالف معهم من بقايا العهد الجاهلي .

والواقع ان تصفية هذه القوة ، كانت من اعظم المهام الرسالية التي بدأها الرسول ، وتابع اصحابه من بعده نهجه بفتور ، حتى اذا جاء الامام ، وكانت الظروف مواتية ، نهض بها بعزم راسخ .

أو ليسوا هم الشجرة الملعونة في القرآن ، أو ليس الرسول صلى الله عليه وآله قد حذر منهم ، وقال :

«اذا رأيتم معاوية هذا على منبري فاقتلوه ولن تفعلوا»

انهم كانوا أكبر قوة سياسية في الجزيرة ، وكان الرسول قد احتواهم ،

لعلهم يؤبون الى رشدهم ، و يكيّفون انفسهم مع الواقع الجديد ، أو تقوى شوكة الاسلام فتقضي عليهم في الوقت المناسب ، وها قد حان ذلك الوقت ، أنهم ليس فقط لم يذوّبوا أنفسهم في بوتقة المجتمع الاسلامي بل ما فتئوا يدبرون المؤامرات ، ضد القوى الرسالية ، و يتحينون الفرص للانقضاض على السلطة .

ومن هنا نجد الامام علياً عليه السلام يبدأ عهده بالهجوم على بني امية ، وامتيازاتهم التي ابتزوها من الخليفة السابق .

يروي ابن ابي الحديد : عن ابن عباس ان علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال :

«ان كل قطيعة اقطعها عثمان ، وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفُرّق في البلدان لرددته الى حاله ، فان في العدل سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجور اضيق» (١)

وعزل الامام عمال الخليفة السابق وهم حكام الولايات الاسلامية ،

(١) المصدرج (٢) ــ ص (١١).

واصرّ على عزل معاوية، قائد الحزب الاموي، السياسي والعسكري والذي كان يرضى من الامام ابقاءه على الشام كما فعل السابقون، لعله يجد فرصة اخرى لتحقيق هدف حزبه في السلطة.

لقد كانت تلك اعظم مسؤوليات الامام اذ عهد اليه رسول الله (ص) تكميل ما بدأه م تصفية القوى الجاهلية و بقاياها، وقال له مرة:

«تقاتلهم على تأويله، كما قاتلناهم على تنزيله»

وان أهل البصائر من اصحاب رسول الله (ص)، واعون تماماً، لهذه الرسالة الالهية التي يجب عليهم تنفيذها، وان الامام انما قبل بالامارة لتحقيق هذا الهدف.

و بذل قصارى جهده لتحقيق واحد من هدفين متدرجين:

١ ــ فاما سحق بقايا النظام الجاهلي واقامة نظام العدل الاسلامي.

٢ ــ وأما تعرية هذه القوة الجاهلية وفضحها وايجاد حركة رسالية تهدف القضاء عليها وتمنعها من تحقيق كل اهدافها.

ولأن لم تسمح الظروف لتحقيق الهدف الاول، فلقد حقق الهدف الثاني، وانشأ في الامة طليعة رسالية ناضلت ضد بني امية حتى تمت

تصفيتهم كاملاً .. دون ان يحققوا هدفهم الرئيسي وهو اعادة الناس الى الجاهلية ، والقصة التالية تكشف جانباً من اهداف معاوية .

كان معاوية ــ بعد ان تم له الامر ظاهراً ــ يستمع الى الاذان ، والى جانبه بعض خواصه ، واذا به يتميز من الغيظ عندما يسمع المنادي يهتف « اشهد ان محمداً رسول الله » فيسأله صاحبه عن ذلك فيقول :

ان اخا تيم حكم وذهب فقال الناس رحم الله ابا بكر.

وكذلك اخو عدي ، لم يزد الناس بعد حكمه ان قالوا : رحم الله عمر.

ولكن هذا ابن ابي كبشة (اي الرسول) لم يرضى حتى قرن اسمه باسم الله ، لا والله الا دفناً دفناً .

اما يزيد ابنه الماجن فقد انشد قائلاً :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

من هنا وضع امير المؤمنين عليه السلام استراتيجيته على أساس تصفية الحزب الاموي مهما كلفه الامر.

• الامام يجاهد اعداء الدين :

كأية ثورة اصيلة ، واجهت ثورة انصار الحق ، ثلاثة محاور معادية :

١ ــ بقايا العهد البائد .

٢ ــ الانتهازيين .

٣ ــ المتطرفين .

أما الانتهازيون فهم الذين يسايرون الثورة ايام تصاعد مدها يبغون ركوبها أو لا اقل تحقيق مطامعهم السياسية باسم المساهمة فيها .. فاذا رأوا قيادة الثورة واعية ، قلبوا ظهر المجن ، وحاربوها ، وهم عادة ما ينهزمون امامها ، ان قوة هذا الفريق كامنة في مكرهم وتلونهم فاذا افتضحوا فشلوا وانهزموا .

وكان طلحة والزبير واقرانهما من هذا الفريق حيث عارضوا الخليفة الثالث ، وكانوا يمنّون انفسهم بالسلطة أو لا اقل بنصيب منها ، فلما رأوا ميل الناس الى أمير المؤمنين ، انحنوا للعاصفة موقتاً ، و بايعوه بل كانوا أول من بادر الى بيعته طمعاً في تقاسم السلطة معه ولكنهم وجدوا الامام لا يطلب الحق بالجور ، ولم يحقق طلب طلحة والزبير بأمارة الكوفة والبصرة ، وكان لهما فيهما شيعة وهواة ، فتمردوا عليه ونكثوا بيعته ، وطالبوه بدم من

قتلوهم ، وادَّعوا بانهم اولياء الخليفة الثالث ، وتحملوا وزراً عظيماً ، لانهم بادروا الى اشعال نار الفتنة بين المسلمين ، وكانت الحرب التي اعلنوها ، اول حرب دامية بين المسلمين .

• حرب الجمل :

ابو بردة بن عوف الازدي ، كان ممن تخلف عن نصرة الامام في الكوفة ، فلما عاد الامام فاتحاً من البصرة ، عاتب المتخلّفين ، وقال :

«الا انه قد قعد عن نصرتي منكم رجال ، فانا عليهم عاتب زار ، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ، لِيعُرفَ حزبُ الله عند الفرقة»

فقام اليه ابو بردة ، وقال :

يا أمير المؤمنين ارأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بم قتلوا ؟

قال (عليه السلام) : قتلوا شيعتي وعمالي وقتلوا اخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغرر كما غررتم ، فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم ان يدفعوا الى قتلة اخواني اقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بيني و بينهم ، فأبوا عليَّ ذلك وقاتلوني ، وفي اعناقهم بيعتي ودماء قريب من الف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم .

ثم خاطبه قائلاً :

أفي شك انت من ذلك ؟

قال :

«قد كنت في شك فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم ، وانك انت المهديّ المهدي المصيب» (١)

هكذا اختصر الامام جرائم الناكثين.

ومرة أخرى حينما تواجه الفريقان بالبصرة ، دعا الامام طلحة والزبير وحاججهما فقال :

«لعمري لقد اعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً ، ان كنتما اعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، ألم اكن اخاكما في دينكما ، تحرمان دمي واحرم دماءكما ، فهل من حدث ما احل لكما دمي»

---

(١) المصدر ص (٥٤).

قال طلحة : ألبَّت الناس على عثمان.

فقال علي :

«يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق و يعلمون ان الله هو الحق المبين ، ياطلحة تطلب بدم عثمان ؟ فلعن الله قتلة عثمان ، ياطلحة جئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بها ، وخبأت عرسك ، أما بايعتني» (٢)

ثم ذكَّر الامام الزبير ببعض المواقف مع رسول الله (ص) ، فاعتزل المعركة ، ولما اعتزل الزبير الحرب وتوجه تلقاء المدينة ، تبعه ابن جرموز فغدر به ، وعاد بسيفه ولامة حربة الى الامام ، فاخذ الامام يقلب السيف و يقول :

«سيف طالما كشف به الكرب عن وجه رسول الله (ص)»

فقال ابن الجرموز : الجائزة ياأمير المؤمنين ، فقال : اني سمعت رسول الله (ص) يقول :

---

(٢) المصدر ص (٣٨).

«بشر قاتل ابن صفية (الزبير) بالنار»

ثم خرج ابن جربوز على علي مع أهل النهروان فقتله معهم فيمن قتل. (٣)

ومن خلال اسطر التاريخ نكتشف ان الزبير وطلحة وعائشة كانوا جميعاً، مترددين في مسيرهم، وكم قرر احد منهم العودة، الا ان هناك يداً خفية، كانت تثبط عزمهم وتعيدهم الى قلب الفتنة من جديد.

فهذا طلحة يأتي الى البصرة، فيخطب الناس، و يدعوهم الى خلع الامام فيقولون له: يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فسكت ولا يجد جواباً، و يقدم زبيراً للخطاب.

وهذه عائشة تمر في مسيرها الى البصرة بماء يسمى (الحوأب) فتنبح بها كلابه قالت اي ماء هذا، قيل هذا ماء حوأب فاذا بها تصرخ باعلى صوتها ثم تضرب عضد بعيرها فتنيخه ثم تقول:

انا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ردوني، ردوني، ردوني..

هكذا ظلت هنالك ومعها قومها يوماً وليلة، فخدعها عبد الله بن

---

(٣) المصدر ص (٣٩) عن ابن ابي الحديد.

الزبير، وجاؤوا لها بار بعين رجلاً وقيل بخمسين من الاعراب رشوهم فشهدوا ان هذا ليس بماء الحوأب. (١)

و يظهر عبد الله بن الزبير، في الصورة مرة أخرى حينما أراد والده الاعتزال، فانحاه، وغرَّر به .. مثله مثل محمد بن طلحة.

كما ان مروان بن الحكم، يظهر في الصورة في بعض الاحيان وهو يحرض على الاستمرار في القتال..

هكذا نكتشف الاصابع التي كانت وراء الشخصيات الظاهرة في حرب الجمل، وهم تحالف بني امية مع بعض الطامعين في السلطة، من غيرهم، تستروا بهم، وقالوا لانفسهم لو ظفروا كان لنا معهم مثلما كان ايام الخليفة الثالث، أما اذا فشلوا، فقد ضربنا عصفورين بحجر.

فمن جهة تخلصنا من المهاجرين والانصار الطامعين في الخلافة، حيث يصفي بعضهم بعضاً، ومن جهة ثانية: سقطت هيبتهم بين المسلمين وظهروا في اعين الناس بمظهر الباحث عن مصالح شخصيته.

وهكذا نستطيع ان نفسر وقوف الحرب الاموي الى جانب طلحة والزبير وعائشة وهم من أشد المحرضين ضد عثمان، وضد استئثار بني امية

---

(١) المصدر ص (٢٥).

بالسلطة والثروة في عهده.

وكان الناس يتسائلون انهم يريدون البصرة يطالبون أهلها بدم عثمان وقاتلوا عثمان معهم.

روي الطبري بسنده عن المغيرة بن الاخنس قال: لقي سعيد بن العاص، مروان بن الحكم واصحابه بذات عرق فقال: اين تذهبون وثأركم على اعجاز الابل (قال ابن الاثير يعني عائشة وطلحة والزبير) اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم لا تقتلوا انفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً. (١)

ولعلهم اشاروا في نهاية حديثهم الى ان هدفهم ضرب الناس ببعضهم التخلص منهم جميعاً، وهذا يفسر أيضاً ما ذكره ابن الاثير من ان مروان بن الحكم هو الذي رمى سهماً نحو طلحة فاصابه في رجله وقتله (٢)، لقد ابلغ أمير المؤمنين(ع) حينما بين في اكثر من خطاب طبيعة هذه الحرب وان ورائها قريش التي حاربها لأجل الرسالة وهم كافرون، ويحاربها اليوم لذات الهدف، وهم مفتونون.

يقول الشيخ المفيد: لما نزل أمير المؤمنين(ع) الربذة لقي بها آخر الحاج

---

(١) المصدر ص (٢٢).

(٢) المصدر ص (٤٢).

فاجتمعوا اليه ليسمعوا من كلامه ــ وهو في خباءه ــ قال ابن عباس فأتيته فوجدته يخصف نعلاً ، فقلت له : نحن الى ان تصلح أمرنا احوج منا الى ما تصلح ، فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ، ثم ضمها الى صاحبها وقال لي قومّها ، فقلت ليس لهما قيمة ، قال : على ذاك ، قلت كسر درهم قال :

«والله لهما احب اليّ من أمركم هذا الا ان أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»

قلت ان الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك ، فتأذن لي ان اتكلم فان كان حسناً كان منك ، وان كان غير ذلك كان مني قال : لا انا اتكلم ، ثم وضع يده على صدري ، وكان شثن الكفين فآلمني ثم قام ، فأخذت بثوبه ، وقلت نشدتك الله والرحم (وكأنه خاف ان يتكلم بما ينفر الحاج) قال : لا تنشدني ، ثم خرج ، فاجتمعوا عليه ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

«اما بعد فان الله بعث محمداً وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ، فساق حتى بوأهم محلتهم ، وبلغهم الناس الى منجاتهم ، اما والله ما زلت في ساقتها . ما غيّرت ولا بدلت ولا خنت حتى قولت بحذافيرها ، ما لي ولقريش ،

أما والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلنهم مفتونين ، وان مسيري هذا عن عهد اليّ فيه ، اما والله لابقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته ، ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم ، فادخلناهم في حيزّنا »

وانشد :

ادمت ـ لعمري ـ شُربك المحض خالصاً ... واكلك بالزبدة المقشرة البُحُرَا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن ... علياً وحطنا دونك الجرد والسمرا (٣)

وهكذا نجد قريش التي لا تزال احلام السلطة على العرب تراودها تتظاهر بالدين ، وتقود حرباً ضده وقد استعادت قواها المنهارة ، مستغلة ضعف الخليفة الثالث وغررت ببعض اصحاب الرسالة ، وطمعتها في الخلافة وذلك لعدم وضوح الرؤية عندهم ، فهذا طلحة الذي كان يطمح في الخلافة بعد الخليفة الثاني فيؤلب اهل البصرة ضد الخليفة الثالث ، ويحرضهم على قتله ، يأتي بنفسه الى البصرة و ينادي مناديه : من كان فيهم احد ممن غزا المدينة فليأتنا به فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا

---

(٣) المصدر ص (٢٤).

قليل(١) بالامس كان يقودهم، واليوم ينقلب عليهم و يقتلهم أو ليس غريباً؟ بلى ولكن طلحة كان بالامس قائداً، واصبح اليوم رقماً في حسابات بني امية، واضحى يصفي حزبه بنفسه ولم يكن يشك أمير المؤمنين في وجوب قتالهم لانه كان يعرف طبيعتهم واهدافهم الخبيثة ولان رسول الله (ص) كان قد أخبره بمسيره اليهم، وانه سوف يقتل الناكثين.. بلى انه لاقى صعوبة حقيقية في توعية الناس ولولا اهل البصائر من المهاجرين والانصار، الذين نهضوا معه ضد الفئة الناكثة، وآزروه ونصروه بذات القوة التي ازروا بها رسول الله، لكانت قريش بمكائدها وقوتها وعصبياتها تشكل خطراً حقيقياً ضد بقاء الاسلام.

ولقد استنهض الامام جيش الكوفة الذين فتحوا بلاد فارس، ثم استقروا هناك يحمون ثغور الاسلام و يبعثون بالسرايا لفتح المزيد من البلاد، وانما اختارهم لعلمه بوجود أهل البصائر من اصحاب النبي والفقهاء والقراء بينهم ولقد قال لهم، حين التقى بهم في منطقة ذي قار:

«يا أهل الكوفة انكم من اكرم المسلمين واقصدهم تقويماً، واعدلهم سنة وافضلهم سهماً في الاسلام واجودهم في العرب مركباً ونصاباً، انتم اشد العرب وداً للنبي (ص) واهل بيته،

(١) المصدر ص (٣١).

وانما جئتكم ثقة ــ بعد الله ــ بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير، وخلعهما طاعتي واقبالهما بعائشة للفتنة» (٢)

ولقد استمرت عرب الكوفة، في ولائها لآل البيت ومحاربتها الخط الاموي حتى أزال الله دولة بني امية في عهد العباسيين.

وحينما عبىء الامام جيشه، سار بهم الى البصرة حتى وردها، والقى خطاباً هاماً بيّن فيها مشروعية قتاله للناكثين، كما اوضح استراتيجة حربه هذه، فقال فيما قال:

«عباد الله! انهّدوا الى هؤلاء القوم، منشرحةً صدوركم بقتالهم، فانهم نكثوا بيعتي، واخرجوا «ابن حنيف» عاملي، بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة، وقتلوا السبابجة، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي، وقتلوا رجالاً صالحين، ثم تتبعوا منهم من يحبني يأخذونهم في كل حائط، وتحت كل رابية، ثم يأتون بهم يضربون رقابهم صبراً، مالهم قاتلهم الله انى يؤفكون،

---

(٢) المصدر ص (٣٥).

انهدوا اليهم وكونوا اشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين ، تعلمون انكم منازلوهم ومقاتلوهم وقد وطنتم انفسكم على الطعن والضرب ومبارزة الاقران.

واي امري منكم احسَّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ، ورأى من أحد من اخوانه فشلا ، فليذب عن اخيه الذي فضل عليه ، كما يذب عن نفسه ، فلو شاء الله لجعله مثله » (٣)

وكان الامام يرفض معاملة الناكثين كما لو كانوا كفاراً ، بل منع اصحابه من المبادرة بالقتال، ولم يأذن لهم به الا بعد ان رمى اصحاب الجمل عسكره بالنبل رمياً شديداً متتابعاً فضج اليه اصحابه وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين ، فلم يأذن لهم حتى بعث الى عسكر الشام رجلاً يحمل مصحفاً و يدعوهم الى التحاكم اليه فقتلوه فاصدر امره بقتالهم.

وظل القتال ثلاثة أيام وابدى اصحاب النبي من المهاجرين والانصار ، البطولات التي اشتهروا بها ايام رسول الله (ص) ، وقد اجتمعوا في كتيبة واحدة سميت بالكتيبة الخضراء ، يقودهم سيدهم واميرهم الامام علي (ع) وقد هجمت في اليوم الاخير على الجمل الذي كان يعتبر راية

(٣) المصدر ص (٣٧).

الناكثين ، فعقروه فلما سقط انهزم جميعهم ، وانتهت المعركة بانتصار الامام(ع) الذي نادى مناديه : ألاَّ تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ولا ترزءوا سلاحاً ولا ثياباً ولا مقاعاً ومن القى سلاحه فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن .

ثم مشى الامام الى عائشة وهي الباقية من قيادات المعارضة فاستقبلتها صفية بنت الحارث وقد ثكلت بأبنها فقالت له :

ياعلي ! ياقاتل الاحبة ، يامفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما ايتمت ولد عبد الله منه فمشى عنها ولم يرد عليها ، ثم دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها فاخذت تعتذر اليه وتقول : اني لم افعل ، فلما خرج الامام اعادت صفية قولها المنكرة للامام فكف عنها ولكنه قال : وهو يشير الى بعض غرف الدار اما لهممت ان افتح هذا الباب واقتل من فيه ، ثم هذا فاقتل من فيه ، ثم هذا فاقتل من فيه ، وكان اناس من مجرمي الحرب قد لجأوا الى عائشة ، منهم مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير فتغافل الامام عنهم فقال رجل من الازد وهو يشير الى صفية ، والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب الامام ، وقال :

«صه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهجن امرأة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف ولقد كنا

نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات»(١)

وهكذا أدب الامام اصحابه، كيف يتعاملون مع اعدائهم بالرفق، بالرغم من ان انهراً من الدم قد جرت بينهم، ثم مضى الامام الى بيت المال وقسم ما فيه على الجند بالسوية اعطى كل واحد خمسمائة، واخذ ايضاً خمسمائة، ولجهّز عائشة بما تحتاج من مركب وزاد، وارسلها الى المدينة واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وارسل معها اخاها محمداً وكان من اقرب اصحاب الامام اليه، واستخلف على البصرة ابن عباس وكتب اليه عهداً قال فيه.. فارغب راغبهم بالعدل عليه والانصاف له والاحسان اليه وحل عقدة الخوف عن قلوبهم.

وكتب الى امراء الجيش وهو يحدد معالم حكمه:

«لكم عندي الا احتجز دونكم سراً الا في حرب، ولا اطوي عنكم أمراً الا في حكم، ولا اؤخر حقاً لكم عن محله، ولا ارزأكم شيئاً وان تكونوا عندي في الحق سواء»

وعاد ادراجه الى الكوفة ورايات النصر ترفرف عليه وابى ان يدخل قصرة الامارة انما اختار بيت جعدة بن ابي هبيرة المخزومي وكان ابن اخته

(١) المصدر ص (٥٥).

ام هاني ، وقال : عن قصر الامارة انه قصر خبال لا تنزلونيه .

• صفين : المنعطف الخطير :

وكانت لا تزال أمام الامام عقبة كأداء لا بد من تجاوزها حتى يقيم العدالة ويجري احكام الله ، فهذا معاوية ابن ابي سفيان قائد الردة الجاهلية يعبيء اليه كل الحاقدين على الاسلام ، والموتورين و بقايا العهد البائد ، ويجمع اليهم الطامعين والاثرياء المترفين وقد اركز نفسه في الشام منذ ان ولاه عليها الخليفة الثاني ، بعد وفاة اخيه يزيد بن ابي سفيان ، قائد جيوش الشام ، وقد حاول الخليفة الثاني جلب رضا بني امية ، القوة السياسية والعسكرية الاكثر تماسكاً والابعد عن الدين ، وقد زعم الحزب الاموي ان الشام قد اضحت اقطاعية خالصة لهم والى الابد ، فركز قواه العسكرية هناك ولم يتصور أنَّ حاكماً في البلاد يجرأ على مطالبتهم بها ، ما دام الخليفة الثاني الاقوى بين الخلفاء غض طرفه عما يجري في الشام من تدعيم وجود الحزب المنافس للاسلام وكان يستثني الشام من قوانينه المشددة ، كقانون من اين لك هذا الذي اخترعه لمقاومة الترف الذي هبط اليه الحكام الجدد ، حتى ابو هريرة الرواية المعروف ، لم ينج من هذا القانون الصارم ، ففقد الكثير مما جمعه في البحرين تبعاً له ، بينما معاوية وحزبه الاموي ، الذي كان يرسي قواعد ملكه العضوض في الشام ، ويجمع الثروات الطائلة ، و يغدق الهبات السخية على المنتفعين ، كان يستثني

منه ، وحينما قيل له في ذلك برر سكوته عنه بانه يمثل عز الاسلام ، ولا تظن انه كان قادراً على ضبط معاوية دون ان يدفع ثمناً باهضاً وفعلاً قد دفع حياته ثمناً لبعض الضغط على الحزب الاموي في العاصمة وليس في الشام .

هكذا زعم معاوية ان بامكانه ان يبقى حاكماً على الشام في عهد الامام علي (ع) وما راعه الا حكم علي (ع) بفصله وتولية غيره !!

وكان الامام أعلم من غيره بواقع معاوية ، وان مسيره اليه لا يعني النصر عليه بالتأكيد ، اذ ان جيش معاوية المتماسك ذي الولاء الجاهلي ، يختلف عن جيشه الذي تتضارب اهواؤهم ولم يخلص ولاؤهم ، بالرغم من وجود قلة مؤمنة فيهم .

وقد صرح بذلك في اكثر من مناسبة فقال لجيشه مرة :

«ياليت معاوية يبادلني جيشه صرف الدينار بالدرهم ، يعطي واحداً ويأخذ عشرة»

وقبل المسير الى الشام قال أحد قادة جيش الامام للثاني وهو يسمعهما ، ان يومنا و يومهم ليوم عصيب لا يصبر عليه الاكل مشبع القلب ، صادق النية رابط الجأش ، واضاف القائل وهو زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بديل قال : وايم الله ما اظن ذلك اليوم يبقي منا

ومنهم الا الرذال ، فقال له صاحبه : وانا والله اظن ذلك فنظر اليهما الامام (ع) وكأنه يؤيدهما ، ولكنه يطالبهما بمراعاة ظروف الحرب ، وقال :

«ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع ان الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتيه منيته ، كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيل الله . والمقتولين في طاعته» (١)

هكذا كان يجري الحوار بين قيادات الجيش وهكذا كان الامام يحدد الهدف من القتال وهو ابتغاء رضوان الله . ومقاومة المفسدين مهما كانت العواقب .

• معاوية يعترف ويعاند :

ومعاوية ــ بدوره ــ كان يعترف بفضائل الامام علي (ع) وانه الافضل بعد رسول الله (ص) ، الا انه كان يتمسك بقميص عثمان ، و يرى انه احق الناس به ، واذا كانت حجة معاوية واهية فان دهائه ومكره واسباب القوة التي اجتمعت عنده كان يغنيه عن قوة الحجة وكان يعترف بذلك مما يكشف عن طبيعة الصراع بينه و بين الامام (ع) .

---

(١) المصدر ص (٩١).

وقد حفظ التاريخ سجلاً كبيراً من اعترافات معاوية بفضل الامام وبالذات في الرسائل الخاصة المتبادلة بينه وبين كبار الاصحاب .. ولكن الرسالة الابلغ كانت التي بعثها الى محمد بن ابي بكر وكان محمد من أشد المدافعين عن نهج الامام علي (ع) لقد بعث محمد ابن ابي بكر كتاباً اليه ، جاء فيه (٢) من معاوية بن ابي سفيان الى الزاري على ابيه محمد بن ابي بكر: سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد:

فقد أتاني كتابك ، لرأيك فيه تضعيف ، ولأ بيك فيه تعنيف ، ذكرت حق ابن ابي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته واحتجاجك بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد الهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك ، وقد كنا ــ وابوك معنا ــ في حياة نبينا نرى حق ابن ابي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا فلما اختار الله لنبيه (ص) ما عنده كان ابوك وفاروقه اول من ابتزه وخالفه ، ثم قام عثمان يهتدي بهديهما و يسير بسيرتهما الخ . (٣)

هكذا يعترف معاوية بفضل الامام عليه وعلي كل اصحاب الرسول محاولاً إثارة عصبية محمد بن ابي بكر.

وفي حوار جرى بين معاوية وعمر بن العاص الذي كان من قادة

---

(٢)

(٣) المصدر ص (٩٣).

العرب في الجاهلية ، وكان حليفاً تاريخياً لبني امية ، قال معاوية : يا ابا عبد الله : اني ادعوك اليّ جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه ، وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم .

قال عمرو : الى من ؟

قال الى جهاد علي .

فقال له عمرو : ما انت وعلي بعكمى (١) بعير مالك هجرته ولا سابقته ، ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ، ولا علمه والله ان له ــ مع ذلك حداً وحدوداً ــ وحظاً وحظوة و بلاء من الله حسناً .

فما تجعل لي ان شايعتك على حربه ، وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟

قال : حكمك .

قال : مصر طعمه .

فتلكأ عليه معاوية .

---

(١) العكم بالكسر : العدل والعكمان : العدلان .

قال له : اني اكره لك ان يتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هذا الامر لعرض الدنيا قال : دعني عنك .

هكذا تم التحالف بين معاوية وبين قائد جاهلي جمع خبرة العرب في الحرب .

وبعد اجراء هذه الصفقة التي تعكس طبيعة التجمع الاموي غضب مروان ــ وهو أحد القيادات الاموية وقال : ما لي لا اشترى كما أشتري عمرو ، فقال له معاوية : انما تباع الرجال لك . (٢)

وكان يشير معاوية بذلك الى ان مروان جزء من الحزب الاموي وانه انما يسعى لاعادة امجاده الجاهلية .

ومرة أخرى اعترف معاوية لقراء الشام ، وهم الطائفة المؤمنة فيهم ، اعترف بفضل الامام ، فحين قالوا له : علام تقاتل علياً وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته ، قال لهم : ما اقاتل علياً ، وانا ادعي ان لي في الاسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته .

ولكنه تشبث عندهم بقميص عثمان فقال لهم : ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً ؟

---

(٢) المصدر ص (٧٤) .

قالوا : بلى .

قال : فليدفع الينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا و بينه . (٣)

ولكن الامام (ع) اجاب عن هذا الطلب الماكر ، فقال : في رسالته الى معاو ية نقلها المبرد في الكامل هذا نصها :

(من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) الى معاو ية بن صخر بن حرب) .

أما بعد :

«فانه أتاني منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فاجابه ، وقاده الضلال فاتبعه ، زعمت انما افسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ، ولعمري ما كنت الا رجلاً من المهاجرين ، اوردت كما وردوا واصدرت كما صدروا ، وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا يضربهم بالعمى .

وبعد : فما انت وعثمان انما انت رجل من بني

(٣) المصدر ص (٨٤) .

امية وبنو عثمان اولى بذلك منك.

فان زعمت انك اقوى من دم ابيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم اليّ احملك واياهم على المحجة» (١)

هكذا أتم الامام الحجة على معاوية..

أولاً : بان شرعية عمله منبثقة من انه اجماع المهاجرين الذين لا يجمعهم الله على الضلال.

ثانياً : بان بني عثمان هم اولياء الدم، وليس بمعاوية.

ثالثاً : بان طريقة المطالبة بالدم، هي التحاكم الى السلطة الشرعية وليست التمرد عليها، باسم المطالبة بالدم.

الا ان معاوية لم يكن يأبه بهذه الحجج لانه كان يسعى لاعادة امجاد بني امية الجاهلية، وقد اجتمع اليه الموتورون الحاقدون على الاسلام، من بقايا العهد البائد، وقد اقام لهم نظام مصالح، وحول السلطة الى شركة مساهمة، بين الطلقاء والأدعياء والمترفين.

---

(١) المصدر ص (٧٩).

وهكذا جرى تبادل للرسائل بين الامام ومعاوية ردحاً من الزمن ، وقد قام اهل الاصلاح بمحاولات شتى لردع معاوية عن سفك دماء المسلمين ، فلم يفلحوا . وفي آخر رسالة بعثها الامام (ع) قبل قراره بالمواجهة العسكرية كتب يقول (بعد حديث طويل) :

«واني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، وحقن دماء هذه الامة ، فان قبلتم اصبتم رشدكم وان ابيتم الا الفرقة وشق عصا هذه الامة لن تزدادوا من الله الا بعداً والسلام»

فكتب اليه معاوية :

ليس بيني وبين قيس عتاب .

غير طعن الكلى وضرب الرقاب . (٢)

وكان الجواب بمثابة اعلان حالة الحرب ، فكتب الامام (ع) الى عماله في الافاق يحرضهم للقتال كما عبىء قدرات جيش الكوفة العسكرية ، بخطب حماسية لاهبة وقد ساهم نجلاه الامامان الحسن والحسين (ع) واصحاب رسول الله ، وبالذات البدريون واصحاب بيعة الرضوان منهم

---

(٢) المصدر ص (٩٠).

ساهموا ــ بما كان لديهم من مكانة مرموقة بين المسلمين ــ في تعبئة الطاقات الأيمانية في الامة.

ولقد كان مع الامام من اصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الانصار، وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة (بيعة الرضوان) تسعمائة، وكان مجمل عدد اصحاب رسول الله، في ركب الامام، الفين وثمانمائة رجل. (٣)

وكان الامام(ع) يعطيهم مكانتهم المناسبة لهم، وهم ــ بدورهم ــ كانوا متفانين في الدفاع عن حق الامام في الخلافة، لمعرفتهم بفضله وعلمهم بواقع بني امية، اعداءه واعداء الاسلام.

هكذا نجد الامام لا يبت في أمر، الا بعد ان يستشيرهم، ولم يعقد العزم على الحرب الا بعد ان سألهم وقال وهو يخاطبهم:

«اما بعد! فانكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركوا الفعل والامر. وقد اردنا المسير الى عدونا وعدوكم فاشيروا علينا برأيكم» (٤)

(٣) المصدر ص (٨٦) نقلاً عن المسعودي.
(٤) المصدر.

فبادروا بالتأييد ، واستشهد كل منهم بحجة بالغة في شرعية قتال بني امية .

فقال عمار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ان استطعت ان لا تقيم يوما واحداً فأشخص بنا قبل استعار نار الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم الى رشدهم وحظهم ، فان قبلوا سعدوا ، وان أبوا الا حرب بنا ، فوالله ان سفك دماءهم ، والجد في جهادهم ، لقربة عند الله وهو كرامة منه . (١)

اما عدي بن حاتم ، فقد اوضح خلفية بني امية في القتال ضد الامام وقال :

ان القوم لو كانوا لله يريدون ، أو لله يعملون ما خالفونا ، ولكن القوم انما يقاتلون فراراً من الاسوة وحباً للأثرة وضناً بسلطانهم ، وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى احن في أنفسهم ، وعداوة يجدونها في صدورهم ، لوقائع اوقعتها — يا أمير المؤمنين — بهم قديمة ، قتلت فيها اباءهم واخوانهم .

ثم التفت الى الناس فقال :

---

(١) المصدر ص (٨٦).

كيف يبايع معاوية علياً ، وقد قتل اخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجده عتبة في موقف واحد . (٢)

لقد لخص هذا الصحابي الجليل : طبيعة الموقف في كلمات ، فان الحزب الاموي يطلب الدنيا ويحاول الحفاظ على مكاسبه في السلطة و يريد الانتقام من الامام ، والتابعين له ، لما أنزلوا به من هزائم نكراء في صدر الاسلام انه بالتالي الردة الجاهلية بكل معنى الكلمة .

هكذا نجد اصحاب النبي محمد (ص) يجتهدون في الدفاع عن الخلافة الراشدة ، وقد استشهد الامام في اكثر من مناسبة بموقف الاصحاب منه ومن بني امية .

وفي المعركة شكل الامام كتيبة خاصة بهم كان يقودها شخصياً ، سميت بالكتيبة الخضراء .

وقد أبلت هذه الكتيبة في الدفاع عن الاسلام وحرماته بلاء حسناً .

والواقع ان حضور هذه الكتيبة في معركة صفين كان دليلا على عافية الامة و يقظة ضميرها ، فبعد وفاة الرسول (ص) بربع قرن حفل بالأحداث السياسية العظيمة ، لا تزال الفئة التي نصرت الرسالة وتعرضت للالام

---

(٢) المصدر ص (٨٨).

وقدمت التضحيات ، لا تزال تخوض غمار معركة الحق ضد الباطل ، دون ان تميل مع رياح الشهوات وعواصف السياسة .

ومن المعروف ان كثيراً من هؤلاء الصحابة الكرام كان قد تقدم بهم العمر ، حتى بلغوا من الكبر عتياً ، ولكنهم لا يزالون في مقدمة المجاهدين ، وفيهم عمار بن ياسر ، الذي فقد والديه شهيدين في صدر الاسلام وتعرض للضرب والاهانة منذ الايام الاولى للبعثة ، وهو اليوم يناهز التسعين من عمره و يشد على وسطه حزاماً تنتصب قامته به ، ثم يدخل المعركة ، وهو ينادي الرواح الرواح الى الجنة هكذا يصنع الايمان بالقلوب الطاهرة والنفوس الزكية .

• هكذا وقعت الواقعة :

في البلاد الاسلامية جيشان جيش الشام وجيش الكوفة ، وها هما يلتقيان لا ليحاربا عدواً مشتركاً وانما ليتحاربا ، كم كانت الصدمة عنيفة في نفوس المسلمين ، وكم مشى رجال طيبون ، وكم سعى الامام علي (ع) لردع معاوية عن هذا الغي والفساد العريض .

فمنذ ان التقى الجيشان يبعث الامام كبار قادته ، الى معاوية و يقول لهم ، ائتوا هذا الرجل فادعوه الى الله عزوجل والى الطاعة والجماعة .

ولكنه يرفض الا المطالبة بدم عثمان ــ كما يزعم ــ ويحاول ان

يستخدم الوسائل الحربية التي كانت شائعة في الجاهلية فلقد كتبَ في سهم ان معاوية يريد ان يفجر عليكم الفرات ، فيغرقكم فخذوا حذركم ، و يرمي به الى معسكر الاسلام فيقع السهم بيد رجل فينقل الخبر الى الآخرين ، وكالعادة تنتشر الشائعة في المعسكرات سريعاً ، و يرتحل الجيش عن الشريعة و يهجم معاوية عليها ولكن اصحاب الامام لا يلبثون ان يزحزحوه عنها .

وعندما منع معاوية الماء ــ بعد سيطرته على الشريعة ــ عن اصحاب الامام ، وامر الامام بكسر الحصار عنها ، وقال كلمته المشهورة :

«الحياة في موتكم مقهورين والموت في حياتكم قاهرين»

وزحف اصحاب الامام نحو الماء وهزموا اعدائهم ، واستولوا عليه ، زعم البعض ان الامام سوف يقابل اعداءه بالمثل ، أو ليس الحرمات قصاص .

ولكنه رفض ذلك بقوة ، وارسل الى معاوية رسولا واخبره بان السبيل الى الشريعة سالك و بامكان جيشه الورود اليها متى ما شاءوا .

• صور من معارك صفين :

و بدأت المعارك وكانت في صورة مناوشات على الاطراف ، وكانت

القوى متكافئة في الاغلب ، بيد ان دوافع الحرب كانت مختلفة فبينما نجد العصبية الجاهلية توقد نار الحرب عند جيش الشام ، نجد الروح الايمانية في اصحاب علي (ع) تحثهم على الجهاد والشهادة فهذا قائد اموي كان يعده معاوية ولده واسمه عبد الرحمن بن خالد ، يبارز قيادة جيش الامام المتمثلة في تلك المعركة بعدي بن حاتم و يرتجز قائلا :

قل لعدي ذهب الوعيد
انا ابن سيف الله ، لا مزيد
وخالد يزينه الوليد
فما لنا ولا لم محيد
عن يومنا و يومكم فعودوا

انك تراه كيف يفتخر بنسبه حتى تعود الى اذهاننا ذكريات الجاهلية حيث كان الشخص يفتخر بأباءه وعشيرته .

ولكن عدي بن حاتم و بالرغم من مفاخره العظيمة ، يذكر في رجزه الحربي دافعه الايماني و يقول :

ارجو الهي واخاف ذنبي
وليس شيء مثل عفو ربي

وقد افصح عبيد الله بن عمر، وكان في صف معاوية عن خلفيات الحرب وذلك حينما التقى بالامام الحسن المجتبى في ارض المعركة فقال:

ان اباك قد وتر قريشاً اولاً وأخراً وقد شنأوه فهل لك ان تخلعه ونوليك هذا الامر.

وهكذا كشف عن الاحقاد الجاهلية التي طفحت بها قلوب قريش وهم قيادات ذلك الجيش.

ولكن الامام الحسن (ع) رده بقوة وقال: كلا، واضاف:

«لكأني انظر اليك مقتولاً في يومك أو عدك اما ان الشيطان قد زين لك وخدعك حتى اخرجك خلقاً بالخلوق، تُرى نساء اهل الشام موقفك، وسيصرعك الله، و يبطحك لوجهك قتيلاً»

• هكذا قاتل عمار بن ياسر:

قام عمار بن ياسر فخطب في القوم يحرضهم على معاوية و يكشف حقيقة المعركة، وخلفياتها فقال:

امضوا عباد الله الى قوم يطلبون ــ فيما يزعمون ــ بدم عثمان، والله ما

اظنهم يطلبون دمه ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها ، واستمرؤوها ، وعلموا لو ان الحق لزمهم لحال بينهم و بين ما يرغبون فيه منها ، ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام .. يستحقون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا اتباعهم بان قالوا : قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً ، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون . ولولا هي ، ما بايعهم من الناس رجلان .

ثم التقى بعمرو بن العاص فقال له : ياعمرو بعت دينك بمصر تباً لك ، وطالما بغيت الاسلام عوجاً .

ثم حمل على القوم ، وهو يرتجز بابيات تفيض ايماناً و يقيناً ، وتعكس شخصية عمار الجهادية وهو يومئذ يناهز التسعين من عمره :

صدق الله وهو للصدق اهل ... وتعالى ربي وكان جليلا
ربّ عجّل شهادة لي بقتل ... في الذي قد احب قتلاً جميلا
مقبلاً غير مدبر ان للقتل ... على كل ميتة تفضيلا
انهم عند ربهم في جنان ... يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الابرار خالطه المسك ... وكأساً مزاجها زنجبيلا

ثم قال : اللهم انك تعلم اني لو اعلم ان رضاك ان اقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت ، اللهم انك تعلم اني لو اعلم ان اضع ظبة سيفي في

بطني ثم انحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت ولو اعلم اليوم عملاً هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين لفعلته. (١)

و بهذه الروح الايمانية المتسامية، حارب الصفوة من اصحاب الرسول معاو ية والمنافقين معه، لقد كانت الشهادة غاية مناهم، وكانوا على يقين انهم على حق. وان عدوهم طالب ملك و باغي دنيا..

وهكذا تقدم عمار بين الصفين ونادى: ايها الناس الرواح الى الجنة، فلما بصر راية عمرو بن العاص، قال: والله ان هذه الراية قد قاتلتها ثلاث مرات، وما هذه بارشدهن ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ثم استسقى ــ وقد اشتد ظمأه ــ فأتته امرأة بضياح من اللبن، فقال حين شرب الاجنة تحت الاسنة، اليوم القى الاحبة، محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وهم على باطل. (٢)

هكذا تقدم الشيخ العظيم الذي التحق بمسيرة الرسالة منذ شبابه، ولم

(١) المصدر ص (١٥٣).
(٢) المصدر ص (١٥٧).

يتخلف عن اية مهمة أوكلت اليه ، ودفعه النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ الى مستوى الصديقين ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، تقدم الى الشهادة ببصيرة نافذة ، وخطى ثابتة ، وهو يحمل معه صحيفته المضيئة ، ذات التسعين صفحة مشرقة ، فلما توسط المعركة حمل عليه اثنان من المجرمين ابو العادية الغزاري ، وابن جون فقتلاه ، فألزم الله بقتله الحجة على أهل الشام ، أو لم يقل الرسول الاكرم له يوماً :

«آخر شرابك من الدنيا ضياح لبن ، وتقتلك الفئة الباغية»

فلما انتشر خبر مقتله في معسكر اهل الشام ، وكاد يؤثر على معنوياتهم ، قال معاوية ان علياً هو الذي قتله ، لانه هو الذي اخرجه لقتالنا ، ولقد كان معاوية قد استخف قومه فأطاعوه ، وهكذا كان يتعامل مع سائر النصوص الدينية .

• الدفاع بكل وسيلة :

لقد كانت معارك صفين غريبة ، فمعاوية كان قد أعد جيشه أعداداً جيداً ، وكانت الى جانبه القيادات العربية العريقة ، والقبائل التي دخلت الاسلام بعد الفتح حاملة معها رواسبها وتقاليدها وطاعتها لشيوخها واستفاد من خبرة الروم بحكم احتكاكهم بحضارتهم في الشام ، وجهّز

جنوده بافضل الاسلحة ، ومنّاهم بالاموال التي تكدست عند الحزب الاموي ، منذ ايام الجاهلية وتضاعفت على عهد عثمان .

وفي الجانب الآخر كانت التعبئة الروحية عند انصار الامام في القمة ، فهاهم اصحاب رسول الله (ص) وعددهم الف وسبعمائة ، بينهم كبار المهاجرين وبقية البدريين ، والمشتركين في بيعة الرضوان ، يتبعهم جيش من قراء القرآن والعباد واصحاب البرانس ، وما نما وتبارك من الجيل القرآني ومن ورائهم القبائل العربية التي اتبعت هذا الخط بدافع أو بآخر .

وحين التقى الفريقان ، كانت الكفة متعادلة تقريباً ، ولذلك اقلما كانت المعارك حاسمة ، وانقل اليكم صورة معبرة واحدة من هذا التعادل :

يقول زياد بن نصر الذي كان في مقدمة جيش الامام :

ـ شهدت مع علي بصفين ، فأقتتلنا ثلاثة ايام وثلاث ليال ، حتى تكسرت الرماح ، ونفدت السهام ، ثم صارت الى المسايفة ، فاجتلدنا بها الى نصف الليل حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً ، وقد قاتلت يومئذ بجميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح الا قاتلت به حتى تحاثينا بالتراب وتكادمنا ، حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا الى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين ان ينهض الى صاحبه ولا يقاتل .

فلما كان نصف الليل ، من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب علي على القتلى واقبل على اصحاب محمد واصحابه فدفنهم ، وقد قتل كثير منهم ، وقتل من اصحاب معاوية اكثر. (٣)

● الامام يقود المعارك :

في صفين تجلى علي بشجاعته وبطولاته وصدق مواقفه ، لقد ذرَّف الآن على الستين ، ولقد تواردت عليه مصائب لو نزل بعضها على الجبال لانهدت ، ولكنه سيد المتقين الذي يتعالى على قمم الجبال .

مواقفه في صفين تعكس جانباً من تلك الروح العظيمة ، وذلك الايمان الصادق .

لقد أرسل الامام الى معاوية : ان أبرز اليّ واعف الفريقين من القتال ، فأينا قتل صاحبه كان الامر له .

انظروا الى هذه البطولة انه يستعد لافتداء المسلمين بنفسه ، ولكن معاوية قال في الجواب بالحرف الواحد : اني أكره ان أبارز الاهوج الشجاع ، ثم نظر الى عمرو بن العاص الذي شجعه على قبول تحدي الامام قائلاً : لقد انصفك الرجل نظر اليه وقال : لعلك طمعت فيها ياعمرو!

---

(٣) المصدر ص (١٥٩).

أما عمرو بن العاص الذي كان يعتبر من دهاة العرب، ومن القيادات العربية العريقة في الجاهلية فقد أراد ان يأخذ الامام على غرة، فحمل عليه الامام، فلما كاد يخالطه رمى بنفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه، وقام معفراً بالتراب هارباً على رجليه معتصماً بصفوفه فقال القوم: افلت الرجل ياأمير المؤمنين.. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: انه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه. (٤)

وفي موقعة أخرى برز عروة بن داود الدمشقي الى الأمام، فضربه ضربة علوية فقده نصفين وقع نصفه يمنة ونصفه يسرة، فارتج العسكر، وخاطبه الامام بعد مقتله قائلاً:

«ياعروة اذهب فاخبر قومك، اما والذي بعث محمداً بالحق: لقد عاينت النار واصبحت من النادمين» (٥)

فبرز اليه ابن عمه فالحقه الامام بصاحبه، ومعاوية واقف على تل يبصر و يشاهد فقال: تباً لهذه الرجال وقبحاً اما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع.

---

(٤) المصدر ص (١٦٨).

(٥) المصدر ص (١٧).

فقال الوليد بن عقبة أبرز اليه انت ، فانك أولى الناس بمبارزته فقال : والله لقد دعاني الى البراز حتى استحيت من قريش . والله اني لا أبرز اليه . (٦)

وذات مرة قال معاوية لجلساءه وهو يذكر نكوله عن مبارزة علي وكشف صاحبه عمرو عن سوءته للفرار عنه :

«ان الجبن والفرار من علي لا عار على أحد فيهما» (٧)

هكذا تجلى الامام ببطولاته ــ التي صنعها في حروب الاسلام الاولى ضد قريش وبني امية بالذات ــ تجلى في الوقت الذي كان اميراً للمؤمنين ، والقائد العام للجيش الاسلامي ..

وأننا لو اطلعنا على ساحة المعركة في صفين ، ورأينا اصحاب محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ يلتفون حول قائدهم الامام علي عليه السلام ، وقد تراوح اعمارهم بين الخمسين والتسعين عاماً ، وهم الرواد الاوائل ، وطلائع الرسالة ، وحملة راية التوحيد في الارض ، وهم قادة الامة بلا منازع ، لاستبد بنا العجب ، سبحان الله !! ما أروع هذا المشهد ما الذي

---

(٦) المصدر.

(٧) المصدر ص (١٧٣).

جعل هؤلاء الشيوخ يشكلون كتيبة خاصة بهم باسم الكتيبة الخضراء ، وما الذي جعلهم يرخصون أنفسهم ، وما الذي اخرجهم الى الحرب وهم كرام سواء خاضوا حرباً ام استقروا في بيوتهم .

انه الاسلام ، أو ليس هؤلاء هم الجيل القرآني أو ليس القرآن يصوغ شخصية الانسان بحيث تتحدى حاجز السنين وتتعالى على الماديات ؟ لقد احس القوم بالردة الجاهلية التي يقودها بنو امية ، فلم يألوا جهدا في مقاومته ، وأقروا عين حبيبهم ومربيهم وقائدهم ، النبي محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ بفعلهم .

• ما فاتته بالشجاعة اخذه بالمكر :

كانت التعبئة الروحية ، أعظم قوة اعتمد عليها جيش الرسالة ، وبالرغم من انها صنعت بطولات نادرة ، الا ان حجمها كانت دون مستوى النصر النهائي ، فلما استمرت الحرب طويلا بدأ المتخاذلون يتسللون في صفوف الجيش الرسالي أمّا معاوية الذي لم يتورع عن التوسل بأية طريقة متينة لنيل النصر ، فقد عرف كيف يستفيد من الصعوبات التي ازدادت في صفوف جيش الامام ، لم تكن اكثرية الجيش عند الامام في مستوى فهم الصراع الرسالي ــ الجاهلي ، وان الذي يطلع على تاريخ صفين يتمزق ألماً ، كيف كانت حيل معاوية تنطلي عليهم ، وكيف ان الامام يستخدم براعته وبلاغته ، وقوة شخصيته ، وحضوره الدائم عند كل

حادثة ، بل وجولا ته الحربية المباشرة ، لكي يفشل خطط معاو ية الماكرة..

لقد سأله ــ ذات مرة ــ بعض اصحابه كيف لم ننتصر حتى الآن على معاو ية ، فأمره ان يدنو منه ثم ناجاه :

«ان قوم معاو ية يطيعونه ، ولا يطيعني قومي»

وكم كان يؤلم ذلك القلب الكريم الذي غمره حب الرسالة ، جهل المسلمين بها ، وتفرقهم عن الحق.

وكان معاو ية يعرف ذلك ولا يكف عن محاولا ته التأثير على معنو يات جيش الامام ، و بث الفرقة فيهم ، وحتى لو فشلت سائر حيله فان نجاح واحدة منها كفيلة بانقاذه من ورطته واعطاءه فرصة العودة الى مؤامراته الخبيثة !

وهكذا خطط هذه المرة بطلب الصلح ، والتحاكم الى القرآن الكريم.

في بداية الحرب ندب الامام عليه السلام واحداً من فتيان الانصار ليحمل القرآن الى معسكر معاو ية ، و يطالبهم بالتحاكم اليه ، وقد بشره بالشهادة في هذا السبيل ، وضمن له الجنة ، فأسرع الفتى الى القوم ، وهو يحمل كتاب الله على يديه ، و يطالبهم بالنزول على حكمه ولكنهم امطروه بوابل من السهام فسقط شهيداً ، وسقط الى جنبه كتاب الله العزيز.

ولكن معاوية يجد نفسه مهزوماً لا محالة، وقد بدأ جيشة يولي الدبر أمام صولات جيش الامام و بالذات امام هجمات القائد المغوار مالك الاشتر، الذي أخذ يزيد من ضغطه على جيش الشام.

استشار عمرو ذلك الداهية المعروف فأشار عليه، بحمل المصاحف، فاذا بهم يحملون على رماحهم ما يشبه المصاحف و يطالبون بحكم.

ولعل جواسيس معاوية في جيش الامام كانوا وزعوا الاماني على اصحاب القلوب المريضة فوعدوا قيادات الجيش الكوفي، الذين عصرهم الامام بعدالته ومساواته عصراً، المزيد من الاموال والمناصب.

فاذا بالحيلة تنطلي على الغوغاء، ولا يقف دونها القيادات العميلة، ولم تنفع شيئاً محاولات الامام، والقيادات الرسالية الراشدة في توعية الغوغاء أو ردع العملاء.

دعنا نستمع الى التاريخ وهو يروي قصة المؤامرة الكبرى، لعلنا ننتفع بها عبرة لما يشبهها اليوم.

روى نصر بن مزاحم ان علياً عليه السلام غلس بالناس في صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر ربيع الاول سنة (٣٧) ــ وقيل عاشر صفر ــ ثم زحف الى أهل الشام بعكسر القرآن، والناس على راياتهم، وزحف اليهم

أهل الشام ، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ، ولكنها في اهل الشام أشد نكاية واعظم وقعاً .

ثم تمضي الرواية تنقل كيف التقى الجمعان في واقعة عظيمة كادت تفني الطرفين ، مما سمي ليلة الهرير ، حيث استمر القتال من صلاة الغداة الى نصف الليل ، ومرت مواقيت اربع صلوات لم يسجد لله فيهن سجدة ، ولم يصلوا لله صلاة الا التكبير ، ثم استمر القتال من نصف الليل الى ارتفاع الضحى ، وافترقوا على سبعين الف قتيل ، في ذلك اليوم وتلك الليلة . (٨)

والامام علي في القلب بينما ابن عباس في الميسرة ، والاشتر في الميمنة .

والامام يحرض القوم ، و يدعو الرب ، ويجالد بالسيف حتى يقول الراوي :

لا والله الذي بعث محمداً بالحق نبياً ــ ما سمعنا برئيس قوم ــ منذ خلق الله السماوات والارض ــ اصاب بيده في يوم واحد ما اصاب (اي الامام عليه السلام) يخرج بسيفه منحنياً فيقول : معذرة الى الله واليكم من هذا ، لقد ان افلقه ، ولكن حجزني عنه اني سمعت رسول الله (ص) يقول كثيراً :

(٨) المصدر ص (١٩٢ ــ ١٩٣).

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

وانا اقاتل به دونه (ص).

قال (الراوي) فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف فلا والله ماليث باشد نكاية منه في عدوه.

وخطب الامام في الناس وقال:

«أيها الناس قد بلغ بكم الامر، وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم الا آخر نفس، وان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وانا عاد عليهم بالغداة، احاكمهم الى الله عزوجل» (٩)

فبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرو بن العاص، فقال له فيما قال: الق اليهم امراً ان قبلوه اختلفوا، وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله.

فاصبح اهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح.

---

(٩) المصدر ص (١٩٤).

وبالرغم من ان القيادات الرسالية قد حذروا من مكر معاوية ، وقال عدي بن حاتم للامام «وقد جزع القوم ، وليس بعد الجزع الا ما تحب فناجز القوم» ، وهكذا قال مالك الاشتر وعمرو بن حمق وآخرون .

الا ان اكثرية الناس كانوا قد ملّوا الحرب فقالوا : اكلتنا الحرب وقتلت الرجال ، فقال الامام :

«انه لم يزل امري معكم على ما احب الى ان اخذت منكم الحرب ، وقد والله اخذت منكم الحرب وتركت ، واخذت من عدوكم فلم تترك ، وانها فيهم انكى وانهك ، الا اني كنت بالامس أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً ، وقد اجبتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون» (١٠)

وبعد ان رضينا بالتحاكم ، وتقرر ان يختار كل فريق شخصاً يتفاوضان في شؤون الخلافة ، واختار معاوية عمرو بن العاص . ذلك الداهية المعروف والطامع في ولاية مصر بعدئذ وقع الاختلاف ــ مرة أخرى ــ في اصحاب الامام . فبينما اختار لهم الامام عبد الله ابن العباس ،

---

(١٠) المصدر ص (١٩٥).

وقال :

«ان عمراً لا يعقد عقدة الا حلها عبد الله ، ولا يحل عقدة الا عقدها»

فقال الاشعث : لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة .

فاختار لهم مالك الاشتر ، فرفضوا ، وقالوا هل سعّر الارض علينا ، غير الاشتر .

فاصروا على اختيار ابي موسى الاشعري ، الذي اعتزل الامام وخذل الناس عنه .

وفي الواقع ان اصحاب الامام كانوا طوائف شتى ، المخلصون ، والمنافقون ، والمتطرفون ، الذين اشتركوا في القيام ضد عثمان ، وكانوا يظنون انهم احق بالامر من علي واصحابه !! وهم الذين انتهى بهم المطاف الى التمرد على الامام وسمّوا بالخوارج .

• قصة الخوارج :

بعد ان كتب الطرفان وثيقة الصلح ، ووقع عليها كلٌ من الامام ومعاوية ، دار بها ابو موسى الاشعري على عسكر الامام ، فلما مرّ برايات

بني راسب قالوا : لا نرضى ، لا حكم الا لله ، فلما أخبر الأمام قال له : هل هي غير راية أو رايتين ونبذ من الناس قال لا .

صحيح ان اهل الكوفة كانوا قد تعبوا من الحرب ، الا ان أوارها كان لا يزال يتقد في افئدة الكثيرين ، فلما بادر المتطرفون باعلان التمرد ، انتشرت دعوتهم كالنار في الهشيم ، فما راع الامام الا نداء الناس من كل جانب ، لا حكم الا لله ، لا الحكم الا الله ، لا الحكم الا لله ، ياعلي لا لك ، لا نرضى بان يحكم الرجال في دين الله ، ان الله قد امضى حكمه في معاوية واصحابه ان يقتلوا او يدخلوا في حكمنا عليهم .

وكلما نصحهم الامام وذكرهم بان العهد لا ينقض وقد جعلوا الله عليه وكيلاً ، أبوا الا الحرب وقالوا للامام بالحرف الواحد : تب الى الله كما تبنا والا برئنا منك .

وعزز موقف الخوارج نتائج الحكمين حيث غرّر عمرو بن العاص بصاحبه ابي موسى الاشعري ، فاتفق على ان يخلعا كلاً من الامام ومعاوية ، وقدم عمرو صاحبه فلما فعل ابو موسى قام عمرو وقال : ان هذا خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية ، وهكذا دعمت عاقبة التحكيم جانب المتطرفين فاجتمعوا في منطقة «الحروراء» وبعث اليهم الامام ابن عباس فناقشهم بالقرآن فلم يستجيبوا له ، فذهب اليهم بنفسه وسأل عن الرجل المقدم فيهم فقيل : يزيد بن قيس الارحبي ،

فذهب الى خبائه وصلى ركعتين ثم قام وقال : هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة .

ثم التفت الى الناس وقال :

انشدكم الله اعلمتم احداً كان اكره للحكومة مني ، قالوا : اللهم لا ، قال : اتعلمون بانكم اكرهتموني حتى قبلتها ، قالوا : اللهم نعم .

قال : فعلام خالفتموني ونابذتموني ، قالوا : انا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا الى الله ، فتب الى الله منه واستغفره نعد اليك .

فقال الامام : اني استغفر الله من كل ذنب ، فاستجابوا اليه ورجعوا معه الى الكوفة ، وكانوا اكثر من ستة آلاف مقاتل .

ولكن يبدو انهم ــ عند عودتهم الى الكوفة ــ التقوا بالمدافعين عن التحكيم ، وهم اكثرية الجند ممن اتبع الاشعث ، فاثارهم هذا الاخير الذي كانت مواقفه الخيانية مشهودة في كل مكان ، وهو الذي أكره الامام على التحكيم أول مرة ــ فخرج القوم الى منطقة تسمى بالنهروان فمر بهم مسلم ونصراني ، فقتلوا المسلم بعد ان عرفوا رأيه حول الامام ، وتركوا الثاني قائلين لا بد ان نحفظ ذمة نبينا ، وكأن الاسلام لم يحقن دماء المسلمين !

والواقع : ان تنامي التطرف وانحسار الوعي ، وتهافت أسس التفكير عند القوم ، **كان السبب في جرائمهم** ، كما كان سبب انقراضهم ..

لقد كان **عبد الله بن** خباب من اصحاب رسول الله (ص) ووالده خباب ابن الارث ، كان من اعظم اصحاب الرسول ، مرّ بهم عبد الله وفي عنقه قرآن ، ومعه زوجته الحامل ، وكانت في شهرها الأخير ، فاخذوه ، وقالوا له : ان هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك ، فقال لهم احيوا ما احياه القرآن ، وأميتوا ما أماته .

وفيما هم يحاورونه تسقط تمرة من نخلة فيتناولها احدهم ، فيصيحون به حتى يلفظها ويمر بهم خنزير فيقتله احدهم ، فينهرونه و يقولون هذا فساد في الارض .

وعادوا الى عبد الله بن خباب وقالوا له : ما تقول في ابي بكر وعمر وعلي قبل التحكيم ، وعثمان الست السنين الاخيرة من خلافته ، فاثنى عليهم خيراً ، فقالوا ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة فقال : ان علياً أعلم بالله ، واشد توقياً على دينه ، وانفذ بصيرة .

فقالوا : انك لا تتبع الهدى ، بل تتبع الهوى ، والرجال على اسماءهم ، ثم جروه الى شاطىء النهر وذبحوه وجاؤوا بزوجته فبقروا بطنها ، وذبحوها

مع ولدها الى جانبه ! (١١)

وهكذا عاث الخوارج فساداً في الارض وكادت روح القتال المتمردة على القيم تنتشر فيهم وهم ابناء الجزيرة العربية التي لا تزال ارضها تغلي بالدم ، والثأر والعصبيات الدفينة .

ولولا ان الامام بادر وسار اليهم كان يخشى ان تشمل الفتنة كل اطراف بلاده ..

فلما بلغ مكاناً قريباً ارسل اليهم من يأمرهم بدفع قتلة الصحابي الجليل عبد الله بن خباب وزوجته ، وسائر من قتل من المسلمين على أيديهم .

قالوا له : كلّنا قتلة عبد الله ، واضافوا ولو قدرنا على علي ابن ابي طالب ومن معه لقتلناهم .

فمشى اليهم الامام بنفسه ، وقال :

«ايها العصابة اين نذير لكم ان تصبحوا ، لعنة هذه الامة غداً وانتم صرعى في مكانكم هذا بغير برهان ولا سنة»

(١١) سيرة الائمة الاثنى عشر ص : (٤٩٠).

وحاجّهم ــ مرة أخرى ــ ونصحهم بان ينظمّوا اليه لقتال معاو ية ، وهو هدفهم المعلن ، قالوا : كلا لا بد ان تعترف اولاً بالكفر ثم تتوب ، الى الله كما تبنا حتى نطيع لك . والا فنحن منابذوك على سواء ، فقال لهم :

«ويحكم بم استحللتم قتالنا والخروج عن جماعتنا»

فلم يجيبوه وتنادوا من كل جانب : الرواح الى الجنة ، وشهروا السلاح على اصحابه واثخنوهم بالجراح ، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام ، وشد عليهم أمير المؤمنين واصحابه ، فما هي الا ساعات قلائل حتى صرعوا .(١٢)

وفتش الامام بين قتلاهم عن شخص اسمه : مخرج وكان معروفاً بذي الثدية ، فلما وجده بعد بحث كثير كبّر وكبّر اصحابه ، أو تدري لماذا ! لان النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ كان قد اخبر عن هذه الفئة المارقة ، وانبأ عن علامتهم بوجود هذا الشخص بينهم .

الرواية تقول : لما عاد الرسول من حنين ، و بدأ تقسيم الغنائم قام اليه رجل من بني تميم ، يقال له : الخويعة فقال له : اعدل يامحمد ، فقال : لقد عدلت ، واعاد اليه التميمي قوله ثانية وفي الثالثة رد عليه النبي (ص) بقوله :

---

(١٢) المصدر ص (٤٩١).

«سيخرج من ضضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يخرجون على حين فرقة من الناس، تحقرون صلا تكم في جنب صلا تهم، يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم ايتهم: رجل اسود مخرج اليدين احدى يديه كأنها ثدي امرأة، وفي رواية عائشة: يقتله خير امتي من بعدي. (١٣)

لقداشار النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ بكلمته الرشيدة تلك الى وجود طوائف قشرية جاهلة في الامة. وانها ستظهر عند اول فرصة تسنح لهم، وذلك حين تقع الفتنة، فهذا الرجل الذي يأمر رسول العدالة بالعدل، و يرى نفسه أحرص على القيم من ذلك الذي اختاره الرب لرسالا ته لا يشبه الا الرجل الذي يأمر علياً عليه السلام بالتوبة والايمان، وهو ابن الايمان، وعلى أكتافه قامت قواعده وترسخت أسسه.

ولعل حرص الامام على التفتيش عن جثمان ذي الثدية، حيث بعث رجالاً من اصحابه ليبحثوا عنه فلم يجدوه فاضطر للبحث عنه شخصياً.

اقول: لعل ذلك، كان لأتمام الحجة على الناس، وليعلموا ان هؤلاء

---

(١٣) المصدر ص (٤٩٢).

مارقون عن الدين بشهادة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ فلا يزايدو على الناس بدينهم الاجوف. ولمعرفة ان هذه الفئة المارقة الملعونة، لم تنته بتصفية افرادها جميعاً، اذ انها حالة اجتماعية مستمرة سوف تبرز بين الفينة والاخرى هنا أو هنالك، تحت راية هذا أو ذاك، حيث لم يخل عصر منهم او من امثالهم ذوي الثفنات الغليظة، والمظاهر الدينية والتطرف للقشور. وتكفير الناس بغير حجة من الله، ولا دليل من العقل..

والخوارج من هنا، واصحاب اشعث المتخاذلون من هناك، شكلوا اكبر خطر على النظام الاسلامي، في عهد الامام وهم يشكلون ذات الخطر على كل رسالة اصلاحية..

وفعلاً برزت بثور عفنة من تابعي نهج الخوارج بعدئذ في اطراف دولة الاسلام، وشغلوا جانباً من اهتمام الامام بما اتاح فرصة لمعاوية بتثبيت حكمه!

● الايام الاخيرة لعهد الامام:

حين يمر شريط حياته امام أعيننا تبدو نهاياتها اشد قتاماً حتى يكاد يتفطر القلب أسى، فهذا معاوية يقود رايات الجاهلية ضد رسالة الله وهذا اشعث واهل الدنيا من قيادات الجيش الكوفي، يميلون الى باطل معاوية، وتستويهم وعوده الكاذبة اكثر من نصائح الامام وهؤلاء اصحابه الكرام

يلقون منا ياهم و يصرعون بالحرب حيناً و بالغيلة احياناً .. ولا يمر عليه يوم الا وتتوارد عليه انباء مؤسفة ..

المتطرفون يخرجون عليه ، و يزعجون جيشه ، والجيش قد تعب من الحرب ، ومعاوية يزداد قوة كل يوم ، و يبعث بسرايا خفيفة تغير على اطراف البلاد . يحي بذلك سنن الجاهلية التي ينتمي اليها ، و يشجع القبائل العربية والقيادات الجاهلية ، على العودة الى عاداتهم السابقة من سلب ونهب .

يهاجم اليمن والحجاز بجيش يقوده بسر بن ارطأة و يأمره باثارة الفوضى وارهاب الموالين للامام .

ويجهز جيشاً لمهاجمة مصر ، بقيادة عمرو بن العاص الذي اتبعه طمعاً في ولاية مصر ، فيعيث فساداً في مصر ، و يقتل والي الامام ، عليها محمد بن ابي بكر ، ويمثل به ويحرقه ..

وحينما ندب الامام لمصر السيف الصارم مالك الاشتر ، دبّر معاوية خطة لأغتياله بالسم في بعض الطريق .. وكان نبأ شهادته على الامام عظيماً ، انه يفقد بطلاً راسخ الايمان شديد الوطأة على اعداء الله .

كل ذلك ، واهل الكوفة لا يزالون مختلفين ، كانوا متأخرين قروناً

عديدة عن افق الامام عليه السلام ، حيث كان يستحثهم بكل ما أُوتي من بلاغة القول وحكمة الرأي ، وقوة الطرح على الجهاد في سبيل الله وللمحافظة على كرامتهم ، ومكاسب ثورتهم ، فلم يكن يستجيب له الا طليعة القوم .

ولعل الهدف الاسمى للامام كان ترسيخ أسس الايمان عند هؤلاء الطليعة الذين هم شيعته المخلصون ، ليمتد الخط الرسالي حاملاً مشعل التوحيد ، عبر الاجيال .

كان يؤلمه حقاً تفرق اهل الكوفة عن حقهم واجتماع اهل الشام على باطلهم ، وكان يتمنى ان لو باد له معاوية باصحابه على ان يدفع منهم عشرة و يأخذ واحداً من اصحاب معاوية واخيراً رمى بآخر سهم من كنانته فقال :

«اما اني قد سئمت من عتابكم وخطابكم فبيّنوا لي ما انتم فاعلون ، فان كنتم شافعين معي الى عدوي فهو ما اطلب وما احب ، وان كنتم غير فاعلين فاكشفوا لي عن أمركم ، فو الله لان لم تخرجوا معي بأجمعكم الى عدوكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين ، لأدعون الله عليكم ولأسيرن الى عدوكم ، ولو لم

يكن معي الا عشرة»

وأضاف قائلاً :

«اجلاف اهل الشام اصبر على نصرة الضلال ، واشد اجماعاً على الباطل منكم على هداكم وحقكم ما بالكم وما دواءكم ، ان القوم امثالكم لا ينشرون ان قتلوا الى يوم القيامة»(١٤)

فلما رأى اهل الكوفة منه العزم على ان يزحف بمن بقي معه من اصحابه المخلصين استجابوا له ، وتداعوا للجهاد وخرج المقاتلون الى النخيلة حيث كان يعسكر فيه جيش الكوفة ، ولبث الامام واحداً من قادة جيشه (زياد بن حفصة) باتجاه الشام ، يقود طلائع الجيش ، بينما انتظر انسلاخ شهر رمضان ليزحف ببقية الجيش الى الشام ، لولا ان القدر كان في انتظاره في ليلة التاسع عشر من شهر الله المبارك..

• تهدمت أركان الهدى :

ليلة التاسع عشر تعتبر من ليالي رمضان التي يرجى فيها ان تكون ليلة القدر، كان حديث الناس في تلك الليلة في كل مكان حول الحرب ، بعد

---

(١٤) المصدر ص (٤٩٩).

ان بعث الامام فيهم روح الجهاد ، ودبّ اليهم النشاط والعزيمة .

وفي طرف مسجد الكوفة كان يصلي جماعة من المصريين ، كعادتهم في كل ليلة ، قريباً منهم عند السرة كان يصلي جماعة باجتهاد . وهناك في بيت متواضع على طرف تستضيف الامام بنته فتحمل اليه عند الافطار ، رغيفاً من الخبز ولبناً وشيئاً من الملح ، فيأمرها برفع اللبن ، ولما تناول لقمات نهض لصلواته ، وبين الفينة والاخرى يتطلع الى السماء فيقول : هي هي الليلة التي وعدت بها لا كذبت ولا كذبت .. ثم يخرج الى المسجد ، و يدخله من ذات الباب الذي اجتمع خلفه اولئك الرجال .

يقول الراوي : خرج عليهم علي بن ابي طالب عند الفجر فاقبل ينادي .. الصلاة الصلاة ، و بعدها رأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول : الحكم لله لا لك ياعلي ، ثم رأيت بريق سيف آخر ، وسمعت علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل . وكان الاشعث قال لابن ملجم النجاة لحاجتك قبل ان يفضحك الفجر . (١٥)

من الذي اشترك في المؤامرة ضد حياة قائد المسلمين ؟

ثلاثة اجتمعوا في الحج وقرر كل واحد منهم اغتيال واحد من الثلاثة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والامام ، فلم ينجح صاحب عمرو

(١٥) المصدر ص (٥٠٥).

ابن العاص ، اذ كان قد استناب عنه ، آخر فقتل ، بينما وقع سيف صاحب معاوية على فخذه وجرحه جرحاً بسيطاً . .

اما ابن ملجم الذي كان قد اشترى سيفه بألف وسممه بألف فقد التقى ــ فيما يبدو ــ بالمعارضة التي تنامت في الكوفة ، وكان يقودها ابن الاشعث ، الذي بدأ يتباكى على مصرع الخوارج ، وكان قد دخل على الامام قبل فترة ، فاغلظ عليه لمؤامرته المستمرة ضد الاسلام ، فتوعده وهدده بالفتك ، فقال له الامام :

«أبالموت تخوفني وتهددني فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي» (١٦)

وهكذا تعاون معه في جريمته سبيب بن بجران ، ووردان بن مجالد ، ولعل رجالاً آخرين من جماعة ابن الاشعث كانوا مساهمين معهم .

ومن خلال الاشعث التقت مصلحة الخوارج الذين كانوا من أشد المعارضين لمعاوية بمصالح معاوية الذي كان يخشى هجوماً صاعقاً لجند الاسلام ضده ، وكان لا يني من توزيع الوعود على الطامعين في الكوفة ، للفتك بالامام عليه السلام . من هنا خاطب ابو الاسود الدئلي معاوية بعد تنفيذ الجريمة قائلا :

---

(١٦) المصدر ص (٥٠١).

الا ابلغ معاوية ابن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
افي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طراً اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرء المثاني والمئينا(١٧)

وبعد تنفيذ الجريمة، حمل الامام الى البيت واحضر عنده ابن ملجم فقال الامام:

«النفس بالنفس، ان انا مت فاقتلوه كما قتلني، وان سلمت رأيت فيه رأيي، واضاف يابني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين الا لا يقتلنّ الا قاتلي»

ودخل على الامام أكبر اطباء الكوفة واسمه: اثير بن عمر بن هاني، فلما فحصه ملياً قال: ياأمير المؤمنين أعهد عهدك، فان عدو الله قد وصلت ضربته الى ام رأسك.(١٨)

---

(١٧) في المصدر والمبينا والظاهر ما ذكرناه انظر ص (٥٠٢).
(١٨) في رحاب ائمة اهل البيت ص (٢٥٥) /ج (٢).

يقول اصبغ بن نباته: دخلت على أمير المؤمنين، فاذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه واصفر وجهه. فما ادري وجهه اشد صفرة ام العمامة، فاكببت عليه فقبلته و بكيت، فقال لي لا تبك يا اصبغ فانها ــ والله ــ الجنة.

فقلت له: جعلت فداك اني اعلم ــ والله ــ انك تصير الى الجنة، وانما ابكي لفقداني اياك يا أمير المؤمنين. (١٩)

و بكت عنده ام كلثوم بعد ان نعى اليها نفسه، فقال لها:

«لا تؤذيني يا ام كلثوم فانك لو ترين ما ارى ان الملائكة من السموات السبع بعضهم خلف بعض، والنبيون يقولون انطلق يا علي فما امامك خير لك مما أنت فيه» (٢٠)

و بقي الامام ثلاثاً تشتد حالته، حتى كان ليلة الواحد والعشرين في الثلث الاول منه، وعهد عهده الى الامام الحسن واوصاه واخاه الامام الحسين عليهما السلام، بأخر وصاياه، ثم ودع اهل بيته، واستقبل ملائكة ربه بالسلام وفارقت روحه الزكية، وصرخت بناته ونساؤه

---

(١٩) المصدر.

(٢٠) المصدر.

وارتفعت الصيحة في بيته ، فعلم اهل الكوفة ان امير المؤمنين قد قبض ، فاقبل الرجال والنساء يدعون افواجاً ، وصاحوا صيحة عظيمة وارتجت الكوفة باهلها ، وكان ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله .

ثم غسله الامام الحسن والامام الحسين معاً ، بينما كان محمد بن الحنفية يصب الماء ، وحنط ببقية حنوط رسول الله ، ووضعوه على سريره ، وصلى عليه الامام الحسن وحمل في جوف الليل من تلك الليلة الى ظهر الكوفة فدفن بالنوبة عند قائم الغريين حيث مرقده الشريف الآن .

وكانت الحكمة في كتمان موضع قبره الذي ظل سرياً عن العامة حتى عهد الامام الرضا عليه السلام اتقاء شر الخوارج و بني امية .

ثم قتل ابن ملجم واحرق بالنار .

وطويت صفحة ناصعة من حياة الامام بشهادته لتنشر عل مدى الدهر صفحات مجده وعزه ، وفضائله ، وتابعيه على الهدى والاستقامة ، فسلام الله عليه حين ولد في الكعبة وحين وقع صريعاً في محراب الكوفة ، وحين مضى شهيداً وشاهداً على الظالمين ، وحين اضحى راية العدالة وعلم الهدى ، ومنار التقوى ، وسلام الله عليه حين يبعث حياً ، ليجعله الله ميزاناً يفصل به بين عباده وقسيماً للجنة والنار .. وسلام على الصديقين الذين اتبعوا خطاه ، وشيعته الذين تحملوا في ولاه ما تعجز عنه الجبال الراسيات .

الفصل الخامس

■ فضائله ومناقبه

فضائله ومناقبه

كما اشعة الشمس ملأت فضائل الامام الآفاق، واعطتنا ضياءً ودفئاً روحياً، ولقد تنافس كبار علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم في سرد فضائله، حتى ليكاد السذج من القراء يقولون:

فعلي ــ اذاً ــ افضل الناس جميعاً جاهلين بان علياً آية صدق لرسالة محمد(ص) ومرآة صافية تتجلى فيها صورة مربية وسيده محمد(ص) حتى قال:

«انا عبد من عبيد محمد(ص)»

يلىٰ ان إصرار اصحاب الرسول واولي البصائر من التابعين والصديقين

من المسلمين على نشر فضائل الامام كان تحدياً لخط الضلال الذي تسلط على المسلمين واجتهد لمحو معالم الحق ، وهكذا خرجت فضائله عن اطار الاحصاء .

بيد ان علينا الا ننظر الى فضائله بصورة منفصلة عن بعضها ارأيت كيف لو مزقت زهرة و بدأت تنظر الى كل ورقة فيها لوحدها ؟

إنّنا حين نتحدث عن الزهد يخيل الينا انطواء المرتاضين ورهبنة الهاربين عن الحياة ، واذا تحدثنا عن العلم قفز الى اذهاننا صورة اولئك المنكبين على اوراقهم في المكتبات ، أو على ادواتهم في المختبرات ، دون ان يتحملوا المسؤولية أو يخوضوا صراعاً .

واذا ذكرنا الجود تذكرنا الملوك حين يوزعون الهدايا على الملأ من قومهم ، ليستدرجوهم الى الفساد وليضمنوا ولاءهم .

واذا بيّنا الشجاعة ، ارتسمت ــ امامنا ــ صورة أبطال الحروب ، الذين دأبهم القتل ومهمتهم اراقة الدماء ، وهكذا ..

بيد ان علياً (ع) غير كل اولئك .

لأنَّ صفاته تجليات لروحه الايمانية ، كما النور الواحد ينعكس على الاشياء فيتجلىٰ عليها الواناً مختلفة ، وهكذا نور التوحيد في ضمير الامام ،

ينبعث في واقع الامام صفةً مثلى وأيةً عظمىٰ للحق.

فحين يتجلىٰ الرب للقلب السليم فيثبته بالقول الثابت، و يفيض عليه من نور عزه، يصبح صاحبه الجواد العدل والشجاع الحنون والعالم المسؤول والزاهد المتصدي، البكّاء في ظلام الليل، والقتال حين يرتفع النهار..

و يقول قائلهم:

جمعت في صفاتك الاضداد وهذا عزت لك الانداد

ونقول انها الصفات الحسنىٰ يتبع بعضها بعضاً، انها الحب والصدق والامانة، تجمعها معرفة الله وتنساب منها سائر فضائل الخير..

لقد عاش لله سبحانه، لانه عرف الله وتنمر في ذات الله، لانه أوتي اليقين بعظمة ربه، أو لم يقل (ع) عن المؤمنين وهو أميرهم:

«عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في اعينهم»

واستهان بالموت لانه احب لقاء ربه..

وعدل في الرعية لانه تجاوز حواجز المادة الى حقائق الجوهر، فاسقط كل الميزات الظاهرية وتحدى الضغط التي تدعوا اليها.

وزهد في الدنيا ، لانه أبصر حقيقتها فصامت نفسه عنها قبل ان تصوم جوارحه وطلقها ثلاثاً وقال لها :

«يادنيا يادنيا !! اليك عنّي .. قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها» (١)

وانهكته العبادة لانه يلتقي هناك بحبيبه الكريم ، فلم يزل ذاكراً ربه ، يعيش قلبه بمناجاته ، وهكذا كانت سائر فضائله روافد من نبع الايمان والمعرفة واليقين .

دعنا نروي لك شيئاً قليلاً منها لعلنا نزداد معرفة بامامنا ، ونزداد قرباً الى ربنا بمعرفته .

هكذا يروي ابو الدرداء في جمع من اصحاب النبي قصته مع الامام علي ، وكيف شاهد جانباً من عبادته الليلية .

عن هشام بن عروة عن ابيه عروة بن الزبير قال : كنا جلوسا في مجلس ، في مسجد رسول الله (ص) فتذاكرنا اعمال أهل بدر و بيعة الرضوان ، فقال ابو الدرداء : ياقوم الا اخبركم بأقل القوم مالاً واكثرهم ورعاً واشدهم اجتهاداً في العباد ؟ قالوا : من ؟ قال : أمير المؤمنين علي بن

---

(١) فصار الحكم للأمام .

ابي طالب (ع) قال : فوالله ان كان في جماعة أهل المجلس الا معرض عنه بوجهه ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له : ياعويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها ، فقال ابو الدرداء : ياقوم اني قائل ما رأيت وليقل كل قوم منكم ما رأوا ، شهدت علي بن ابي طالب (ع) بشويحطات النجار ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى ممن يليه ، واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدته وبعد عليَّ مكانُه ، فقلت : لحق بمنزله ، فاذا انا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول :

«الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، الهي ان طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما انا مؤمل غير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك»

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر ، فاذا هو علي بن ابي طالب (ع) بعينه ، فاستترت له واخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فرغ الى الدعاء والبكاء والبث والشكوى ، فكان مما ناجى الله به ان قال :

«الهي افكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من اخذك فتعظم عليّ بليتي»

ثم قال :

«آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة انا ناسيها وانت محصيها ، فنقول : خذوه فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته لا يرحمه الملأ اذا أُذن فيه بالنداء»

ثم قال :

«آه من نار تنضج الاكباد والكلىٰ ، آه من نار نزاعة للشوىٰ ، آه من غمرة من ملهبات لظىٰ»

قال : ثم انعم في البكاء ، فلم أسمع له حساً ولا حركة ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، اوقظه لصلاة الفجر ، قال ابو الدرداء : فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة ، فحرّكته فلم يتحرك وزويته فلم ينزو ، فقلت : «انا لله وانا اليه راجعون» مات والله علي بن ابي طالب (ع) قال . : فأتيت منزله مبادراً ، انعاه اليهم ، فقالت فاطمة (ع) ياابا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته ؟ فاخبرتها الخبر ، فقالت :

«هي والله ياابا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله»

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر اليّ وانا ابكي، فقال: مما بكاؤك يا ابا الدرداء؟ فقلت: مما اراه تنزله بنفسك، فقال:

«يا ابا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودعي بي الى الحساب وايقن اهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد اسلمني الاحباء ورحمني اهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفىٰ عليه خافية»

فقال ابو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لاحد من اصحاب رسول الله (ص). (١)

ولانه كان أشد حباً لربه واكثر أنساً به وشوقاً اليه، كان يحب لقاء ربه، ولا يبالي بالموت، فقد جاء في حديث انه كان يطوف بين الصفين بصفين في غلالة (٢)، فقال الحسن (ع) ما هذا زي الحرب، فقال: يابني ان اباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

وحينما علاه اشقى الآخرين بالسيف هتف عالياً فزت ورب الكعبة.

---

(١) موسوعة بحار الانوار ج (٤١) ص (١٣).

(٢) الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الثوب او تحت الدرع.

أو لم يكن عليه السلام يتمنى الشهادة، و يكرر هذه الكلمة باستمرار.

ما ينتظر اشقاها ان يخضبها من فوقه بدم لقد كان يعتبر الشهادة اسمى الطرق الى الله ولقاءه فاذا وفق الله لها عبداً فتلك نعمة كبرى لا بد ان يشكره عليها يقول الامام (ع):

لما انزل الله سبحانه قوله:

«ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»

علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (ص) بين اظهرنا، فقلت: يارسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله تعالى بها؟ فقال:

«ياعلي ان أمتي سيفتنون من بعدي»

فقلت: يارسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حين استشهد من استشهد من المسلمين واخرت عني الشهادة فشق ذلك عليّ فقلت لي:

«أبشر فان الشهادة من ورائك؟»

فقال لي:

«ان ذلك لكذلك، فكيف صبرك اذاً؟»

فقلت:

«يارسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرىٰ والشكر» (٣)

• حب الرب فوق كل وشيجة:

وكان حبه الشديد لربه يجعله فوق كل وشيجة مادية، وكل ضغط اجتماعي وكل مصلحة دنيوية زائلة.

أو لم يحدثنا عليه السلام بنفسه عن اسباب نصر الله للمسلمين وجعل اعظمها التعالي عن علاقاتهم النسبية والتمسك بقيم الحق فقال:

«فلقد كنا مع رسول الله (ص) وإنّ القتل ليدور على الأباء، والأبناء، والأخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الاّ ايماناً ومضياً على الحق» (١)

ويروي التاريخ ان الامام علي (ع) رأي يوم بدر عقيلا اخاه وكان في

---

(٣) المصدر ص (٧).

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٢٢).

معسكر الاعداء يومئذ رأه مقيداً فصد عنه ، وصاح به عقيل ياعلي اما والله لقد رأيت مكاني ولكن عمداً تصد عني .

فاتى علي (ع) الى النبي (ص) وقال :

«يارسول الله هل لك في ابي يزيد ، مشدودة يده في عنقه بنسعه (١) فقال انطلق بنا اليه» (٢)

وهكذا كان موقفه من اخته ام هاني يوم فتح مكة حيث أوت رجالاً من قريش كما يروي التاريخ فلم يجرهم حتى اجارهم النبي (ص) . (٣)

ومن هنا كان الامام يعيش ابداً فوق الضغوط وكان الناس يعرفون منه ذلك ، ولذلك تعاونت ضده اصحاب المصالح ، وقوى الضغط الاجتماعية ، كما تخبرنا عن ذلك زوجته سيد نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) :

«وما الذي نقموا من ابي الحسن ، نقموا منه والله نكير سيفه ، وشدت وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله» (٤)

---

(١) وهي عريض طويل يشد به الرحال .

(٢) المصدرج (٤١) ص (١٠) .

(٣) المصدر .

(٤) سيرة الائمة ج (١) ص (١٢٤) .

لقد عرفوا انه لا يبالي ولا يداهن فيما يرتبط بربه، وهكذا شهدت حوادث التاريخ فحينما مد اليه عبد الرحمن ليبايعه على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين رفض الاستجابة الا لكتاب الله وسنة رسوله، ولم يبال ان الخلافة بكل ما فيها من عظمة وجلال تزوي عنه.

بلىٰ ان نظراته الى الحكم كانت أبداً من خلال ما يمكن ان ينفع دينه فهو الذي قال مرة لابن عباس وقد استعجله لاستقبال الوفود وكان مشغولاً باصلاح نعله قال له يا ابن عباس كم تسوى هذه النعل عندكم قال: درهماً أو بعض درهم قال:

«لامرتكم هذه أزهد عندي منها الا ان أقيم حقاً أو ادفع باطلاً»

أو لم يرفض ابقاء معاوية على امارة الشام مدة من الزمن يستقر فيها الامر له ثم يعزله كما اشار اليه البعض، لانه كان يرفض الغدر.

وقد قال مرة:

«وما معاوية بادهىٰ مني ولكنه يغدر ويفجر ولو لا كراهية الغدر لكنت من ادهىٰ الناس» (٥)

---

(٥) الخطبة (٢٠٠) من نهج البلاغة.

و يروي التاريخ ان كل الملتحقين بمعاو ية ممن كان مع الامام علي (ع) هربوا من عدالته ، واستراحوا الى محاباة معاو ية ومداراته .

الذين أثروا على عهد الخليفة الثالث ، ثراء فاحشاً على حساب المحرومين ، وخشوا من محاسبة الامام علي لهم .

الذين كانت بايديهم ثروات المسلمين ، من بيت المال ، وارادوا الاستئثار بها .

الذين كانوا يتصورون المجتمع الاسلامي كالجاهلية يأكل القوي العزيز فيه الضعيف الذليل ، ولم يعجبهم شعار الامام :

«الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقويّ عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه» (١)

الذين كانوا يرتكبون جرائم يستحقون عليها الحد .

والذين كانوا يبحثون عن جو التسامح في دين الله يسمح لهم ارتكاب بعض الجرائم كأقامة الحفلات الماجنة ومعاقرة الخمور .

كل اولئك كانوا يتسللون الى معاو ية و يشفق عليهم الامام ، لانهم

---

(١) نهج البلاغة الخطبة (٣٧).

يهربون من النور الى الظلام ومن العدالة الشاملة ، الى مجتمع الظلم الزائل.

ولكنه لم يغير سياسته من أجل استمالتهم ، والتاريخ يحفل بمئات الحوادث التي تروي لنا قصة ذلك الركن الشديد ، الذي تتراجع عنه عواصف الضغط الاجتماعية ، قصة ذلك الصلد الاصم الذي تتكسر عنده كل امواج الاغراء والارهاب ، دعهم يجتمعوا حول معاوية ، ثم يزيد ثم من يأتي من سلاطين بني امية ، دعهم يرفعوا عقيرتهم الف شهر ، بسب عليٍّ وذريته ، يتفاخرون بقتل اولاده وشيعته.

دعهم يفعلوا ما شاءوا ان يفعلوا .. فالحق اغلى .. والله اكبر ، وهو يصبر محتسباً ثواب ربه.

ولقد قال مرة :

« كنت احسب الامراء يظلمون الناس ، فاذا الناس يظلمون الامراء » (١)

بلى ان انعدام الوعي عند الناس وكثرة القوى المصلحية كانت وراء ظلمهم لامير المؤمنين (ع).

انه كان يريد اقامة مجتمع القانون ، والناس يرغبون في الفوضى

(١) المصدر.

والمحاباة ، وان ينفذ القانون ابداً على غيرهم ، اما هم فالافضل ان تمشي لهم الوساطات .

لقد أخذ الامام علي (ع) رجلاً من بني اسد في حدّ ، فاجتمع قومه ليكلّموا فيه ، وطلبوا الى الحسن (ع) ان يصحبهم ، فقال : ائتوه فهو اعلى بكم عيناً ، فدخلوا عليه وسألوه فقال : لا تسألوني شيئاً املكه الا اعطيتم ، فخرجوا يرون انهم قد نجحوا فسألهم الحسن (ع) فقالوا : أتينا خير مأتي ، وحكوا له قوله ، فقال : ما كنتم فاعلين اذا جلد صاحبكم ؟ فاصغوه ، فاخرجه علي (ع) فحدَّه ، ثم قال :

«هذا والله لست املكه» (٢)

وقد بين فلسفة ذلك في قصة أخرى حيث بلغ معاوية ان شاعراً من اصحاب الامام كان اسمه النجاشي قد هجاه ، ولعل معاوية كان يعرف انه يشرب الخمر ، فدسّ قوماً شهدوا عليه عند الأمام انه شرب الخمر ، فأخذه وحدَّه .

فغضب جماعة على الأمام (ع) في ذلك وكان بينهم طارق بن عبد الله الفهدي ، فقال : ياأمير المؤمنين مالنا نرى ان اهل المعصية والطاعة وأهل

---

(٢) المصدر.

الفرقة والجماعة عند ولاة العقل ومعادن الفضل سيان في الجزاء ، حتى ما كان من صنيعك باخي الحارث ــ يعني النجاشي ــ فاوغرت صدورنا ، وشتت امورنا ، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى ان سبيل من ركبها النار (اي اتباع معاوية) .

فقال علي (ع) :

«انها لكبيرة الا على الخاشعين»

ياخا بني فهد ! هل هو الا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله ، فأقمنا عليها حدها زكاة له وتطهيراً .

ياخا ابن فهد انه من أتى حداً فأليم (١) كان كفارته»

ياخا بن فهد : ان الله عزوجل يقول في كتابه العظيم :

«ولا يجر منكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب الى التقوى»(٢)

(١) اي ارتكب ما يوجب عليه الحد فلامه الناس او اله اقامة الحد عليه.

(٢) المصدرج (٤١) ص (١٠).

لقد كانت نظرته الى العدل والمساواة مستوحاة من لب الوحي وروح الرسالة، وقد انعكست على مواقفه، وفي تأديبه لولا ته، هنا يوصي عامله على مصر مالك الاشتر فيقول له:

«انصف الله، وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوىً من رعيتك، فانك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله ارخص حجته، وكان لله حرباً حتى يفزع ويتوب وليس بشيء ادعى الى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامه على ظلم، فان الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»

ثم يحذره من محاباة الخاصة (وهم الاشراف واولو الوجاهات والوساطات) فيقول:

«وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضا الرعية، فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة» (٣)

(٣) نهج البلاغة (المعجم المفهرس) ص (٩٨).

• مكرمات الامام على لسان النبي (ص) :

عشرات المجلدات لا تكفي وصف حياة الامام الذي تجلىٰ الوحي في حياته ، وكان اية صدق لرسالات الله ، وشاهد حق لنبوة خاتم المرسلين محمد (ص) .

واذا كان هذا الكتاب لا يسع من فيض مكرماته سوىٰ قطرات ، فان تل القطرات تكفينا لانها بالنسبة الينا رافد عظيم .

ولعل البعض تصيبه الدهشة اذا سمع فضائل الامام ، على لسان النبي (ص) لانه لم يستوعب حكمة الخلق ولا يفكر في أطار البصائر القرآنية .

أما اذا نظر الى السموات والارض وما فيها بصفتها مخلوقات لله ، وعلم ان الله سخرها للانسان ، وفضل البشر على كثير مما خلق تفضيلاً ، وانه انما أكرم ابناء آدم لعبادتهم له ، وان اكرمهم عنده اتقاهم ، استوعب آنئذ ما يذكر من كرامات اولياء الله .

أما اذا نظر الى الانسان نظرة مادية ، فانه لا يمكنه ان يصدق بشيء ، حتى بالوحي الذي يعتبر عنوان كرامة الله للانسان ، ورمز تفضيله على سائر خلقه ، ومفتاح تسخير الاشياء له .

وها نحن نقرأ معاً بعض مكرمات الامام ونتذكر ان الصعاب التي مر بها في حياته كانت معراجاً الى ربه سبحانه ووسيلة زلفى الى رضوانه .

• الفصل السادس

■ في فضائله

على لسان النبي (ص)

في فضائله على لسان النبي (ص)

يروى سلمة بن قيس قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله :

«علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الارض ، وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الارض ، اعطىٰ الله علياً من الفضل جزاءاً لو قسّم على أهل الارض لوسعهم ، واعطاه الله من الفهم لو قسّم على أهل الارض لوسعهم شبّهت لينه بلين لوط ، وخلقه بخلق يحيى ، وزهده بزهد ايوب ، وسخاؤه بسخاء ابراهيم وبهجته ببهجة سليمان بن داود ، وقوته بقوة داود (و) له اسم مكتوب على كل حجاب في الجنة بشّرني به ربي

وكانت له البشارة عندي، عليّ محمود عند الحق، مزكىٰ عند الملائكة، وخاصتي وخالصتي وظاهرتي ومصباحي وجنّتي ورفيقي، آنسني به ربي فسألت ربي ان لا يقبضه قبلي، وسألته ان يقبضه شهيداً (١) أدخلت الجنة فرأيت حور علي اكثر من ورق الشجر، وقصور علي كعدد البشر، علي مني وانا من علي، من تولىٰ علياً فقد تولاني، حب علي نعمة واتباعه فضيلة، دان به الملائكة وحفّت به الجن الصالحون، لم يمش على الارض ماش بعدي الا كان هو أكرم منه عزاً وفخراً ومنهاجاً، لم يك فظاً عجولاً ولا مسترسلاً لفساد ولا متعنّداً، حملته الارض فاكرمته، لم يخرج من بطن انثى بعدي احد كان أكرم خروجاً منه، ولم ينزل منزلاً الا كان ميموناً، انزل الله عليه الحكمة، وردّاه (٢) بالفهم، تجالسه الملائكة ولا يراها، ولو اوحي الى أحد بعدي لأوحي اليه، فزين الله به المحافل وأكرم به العساكر، واخصب به البلاد، واعز به

(١) في المصدر: شهيداً بعدي.

(٢) رداه: البسه الرداء.

الاجناد، مثله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر اذا طلع اضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس اذا طلعت انارت (الدنيا) وصفه الله في كتابه ومدحه بآياته، ووصف فيه اثاره، واجرى منازله، فهو الكريم حياً والشهيد ميتاً» (١)

و يروي ابو ذر الغفاري قال: بينما ذات يوم من الايام بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ اذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى، ثم قال:

«ياجندب من أراد ان ينظر الى آدم في علمه والى نوح في فهمه والى ابراهيم في خلّته والى موسى في مناجاته والى عيسى في سياحته (٢) والى ايوب في صبره وبلائه (٣) فلينظر الى هذا الرجل المقابل (٤) الذي هو كالشمس والقمر الساري والكوكب الدّري اشجع الناس قلباً واسخىٰ

(١) امالي الصدوق: (٦ ــ ٧).
(٢) ساح سياحة: دسب في الارض للعبادة والترهب.
(٣) في المصدر: في بلائه وصبره.
(٤) في المصدر: المقبل.

الناس كفاً ،(٥) فعلىٰ مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»

قال : فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل فاذا هو علي بن ابي طالب عليه الصلاة والسلام . (٦)

وجاء في كتابي الخطيب الخوارزمي وابي عبد الله النطنزي قال ابو عبيد صاحب سليمان ابن عبد الملك : بلغ عمر بن عبد العزيز ان قوماً تنقصوا بعلي بن ابي طالب عليه السلام فصعد المنبر وقال : حدثني غزال بن مالك الغفاري عن ام سلمة قال : بينا رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ عندي اذ أتاه جبرئيل فناداه فتبسم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ ضاحكاً ، فلما سري عنه قلت : ما اضحكك ؟ قال :

«اخبرني جبرئيل انه مر بعلي وهو يرعىٰ ذوداً له (٧) وهو نائم قد ابدي بعض جسده ، قال : فرددت عليه ثوبيه فوجدت برد ايمانه وقد وصل (٨) الى قلبي»

---

(٥) في المصدر : الذي أشجع الناس قلباً واسخاهم كفاً .

(٦) الروضة : (٣ ــ ٤) .

(٧) قال في القاموس (١) : (٢٩٣) : الذود ثلاثة ابعرة الى العشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين .

(٨) في المصدر : قد وصل .

وفي رواية الاصبغ : ان علياً مضى من المدينة وحده ، فأتى عليه سبعة أيام فرئي النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ يبكي و يقول :

«اللهم ردّ الي علياً قرة عيني وقوة ركني وابن عمي ومفرج الكرب عن وجهي»

ثم ضمن الجنة لمن أتى بخبر علي ، فركب الناس في كل طريق ، فوجده الفضل بن العباس ، فبشر النبي (ص) بقدومه فاستقبله فما زال يفتش عن يمين علي وعن يساره وعن رأسه وعن بدنه (٩) فقلت : تفتش علياً كأنه (١٠) كان في الحرب ؟ فاخبرني عن جبرئيل (ع) ان اقواماً من المشركين يقصدونك من الشام فاخرج اليهم علياً وحده ، فخرج معه جبرئيل (ع) في ألف ملك وميكائيل (ع) في الف ملك ، ورأيت ملك الموت يقاتل دون علي .

وجاء في اربعين الخطيب وشرح ابن الفياض واخبار ابيٰ رافع في خبر طويل عن حذيفة ابن اليمان : انه دخل أمير المؤمنين (ع) على رسول الله (ص) وهو مريض ، فاذا رأسه في حجر رجل احسن الخلق والنبي (ص) نائم ، فقال الرجل : ادن الى ابن عمك فانت احق به مني ،

---

(٩) في المصدر : وعن بدنه وعن رأسه .

(١٠) في (ك) فانه .

فوضع رأسه في حجره ، فلما استيقظ النبي (ص) سأله عن الرجل ، قال علي (ع) : كان كذا وكذا فقال النبي (ص) : ذاك جبرئيل (ع) كان يحدثني حتى خف عني وجعي وفي خبر : ان النبي (ص) كان يملي عليه جبرئيل ، فقام (١) (ص) وامره بكتابة الوحي .

وروي محمد بن عمرو باسناده عن جابر بن عبد الله انه قال : قال رسول الله (ص) :

«ما عصاني قوم من المشركين الا رميتهم بسهم الله»

قيل : وما سهم الله يارسول الله ؟ قال :

«علي بن ابي طالب (ع) ما بعثته في سريّة ولا أبرزته لمبارزة الا رأيت جبرئيل (ع) عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت (ع) امامه وسحابة تظله حتى يعطيه الله خير النصر والظفر»

وروي مشاهدته لجبرئيل (ع) على صورة دحية الكلبي حين سماه بتلك الاسامي ، وحين وضع رأس رسول الله (ص) في حجره ، وقال : «انت

---

(١) في المصدر : فنام صلى الله عليه وآله .

احق به مني» وحين كان يملي الوحي ونعس النبي (ص)، وحين اشترى الناقة من الاعرابي بمائة درهم و باعها من آخر بمائة وستين، وحين غسل النبي (ص)، وغير ذلك، وروي نحواً منه احمد في الفضائل.

وقد خدمه جبرئيل (ع) في عدة مواضع روى علي بن الجعد، عن شعبة، عن قتادة، عن ابن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى:

«تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام» (٢)

قال: لقد صام رسول الله (ص) سبع رمضانات وصام علي ابن ابي طالب معه، فكان كل ليلة القدر ينزل فيها جبرئيل (ع) على علي فيسلم عليه من ربه.

وقال احمد القصري عن ابي محمد العسكري، عن ابائه، عن الحسين بن علي (ع) قال: سمعت جدي رسول الله (ص) يقول:

«ليلة اسرى بي ربي عزوجل رأيت في بطنان العرش ملكاً بيده سيف من نور يلعب به كما يلعب علي بن ابي طالب (ع) بذي الفقار، وان

---

(٢) سورة القدر/ (٤).

الملائكة اذا اشتاقوا الى علي بن ابي طالب(ع) (٣) نظروا الى وجه ذلك الملك، فقلت يارب هذا اخي علي بن ابي طالب وابن عمي ؟ فقال : يامحمد هذا ملك خلقته على صورة علي(ع) يعبدني في بطنان عرشي ، تكتب حسناته وتسبيحه وتقديسه لعلي بن ابي طالب الى يوم القيامة » (٤)

وجاء في كفاية الطالب عن انس قال قال رسول الله (ص) :

«مررت ليلة اسري بي الى السماء ، فاذا انا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به ، فقلت : ياجبرئيل من هذا الملك ؟ قال : ادن منه وسلم عليه ، فدنوت منه وسلمت عليه ، فاذا انا بأخي وابن عمي علي بن ابي طالب(ع)فقلت : ياجبرئيل سبقني علي الى السماء الرابعة ؟ فقال لي : يامحمد لا ولكن شكت الملائكة حبها لعلي(ع) فخلق الله هذا الملك من نور على صورة علي فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة و يوم جمعة

(٣) في المصدر : الى وجه علي بن ابي طالب.

(٤) عيون الاخبار : (٢٧٢).

سبعين الف مرة، ويسبحون الله ويقدسونه ويهدون ثوابه لمحب علي(ع)» (٥)

وجاء في مناقب الخوارزمي، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله:

«اول من اتخذ علي بن ابي طالب(ع) اخاً من أهل السماء اسرافيل ثم ميكائيل (١) ثم جبرئيل، واول من احبه من اهل السماء حملة العرش ثم رضوان خازن الجنان، ثم ملك الموت، وان ملك الموت يترحم على محبي علي بن ابي طالب(ع) كما يترحم على الانبياء(ع) (٢)

ومن كتاب كفاية الطالب عن وهب بن منبّه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):

«ما بعثت علياً في سريّة الا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره والسحابة تظله حتى

(٥) كشف الغمة: (٤٠).
(١) المصدر: وميكائيل.
(٢) كشف الغمة: (٣٠).

يرزقه الله الظفر» (٣)

روي محمد بن علي بن عبد الصمد، عن ابيه، عن جده، عن اصباهان بن اسبوزن الديلمي، عن محمد بن عيسى الكابي، عن القعنبي (٤)، عن موسى بن وردان عن ثابت، عن انس ان النبي (ص) قال:

«ليلة اسري به الى السماء الرابع» (٥)

وروى الطبري والخركوشي في كتابيهما بالاسناد عن سلمان قال النبي (ص):

«اذا كان يوم القيامة ضربت لي قبة من ياقوتة حمراء على يمين العرش، وضرب لابراهيم قبة خضراء على يسار العرش، وضرب فيما بينهما لعلي بن ابي طالب (ع) قبة من لؤلؤة بيضاء، فما ظنكم بحبيب بين خليلين؟»

و ينقل ابو الحسن الدار قطني وابو نعيم الاصفهاني في الصحيح والحلية

---

(٣) كشف الغمة: (١١٣).

(٤) في المصدر: عن محمد بن عيسى البكاي: عن العقيني.

(٥) في المصدر: الى السماء الرابعة.

بالاسناد عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن انس قال : قال رسول الله (ص) غ

«اذا كان يوم القيامة نصب لي منبر طوله ثلا ثون ميلاً ، ثم ينادي مناد من بطنان العرش : اين محمد ؟ فأجيب ، فيقال لي : ارق ، فأكون في اعلاه ، ثم ينادي الثانية : اين علي بن ابي طالب ؟ فيكون دوني بمرقاة ، فيعلم جميع الخلائق بان محمداً سيد المرسلين وان علياً سيد الوصيين»

فقام اليه رجل فقال : يارسول الله فمن يبغض علياً بعد هذا ؟ فقال :

«يااخا الانصار لا يبغضه من قريش الا سفحيّ(٦) ولا من الانصار الا يهودي ولا من العرب الا دعيّ(٧) ولا من سائر الناس الا شقي»

ـ وفي رواية ابن مسعود ـ :

---

(٦) اي من ولد من الزنا .

(٧) الدعى : المتهم في نسبه .

«ومن النساء الا سلقلقية» (٨)

قوله تعالى :

«فاولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا» (٩)

عبد الله بن حكيم بن جبير عن علي (ع) انه قال للنبي (ص) :

«هل نقدر على رؤيتك في الجنة كلما أردنا ؟»

فقال رسول الله (ص) :

«ان لكل نبي رفيقاً وهو اول من يؤمن به من امته»

فنزلت هذه الآية.

عباد بن صهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن ابيه ، عن جده ، عن النبي (ص) ــ في خبر ــ قيل : يارسول الله فكم بينك و بين علي في

(٨) اي المرأة التي تحيض من دبرها.
(٩) سورة النساء : (٦٩).

الفردوس الاعلىٰ ؟ فتر أو أقل من فتر(١) قال :

«انا على سرير من نور عرش ربنا ، وعلي على كرسي من نور كرسي»

عن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد ، عن ابيه ، عن علي بن الحسن ، عن ابيه (ع) قال : سئل النبي (ص) عن قوله تعالى :

«طوبىٰ لهم وحسن مآب» (٢)

قال :

«نزلت في أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وطوبىٰ شجرة في دار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في الجنة ، ليس في الجنة شيء الا وهو فيها» (٣)

و يروي سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

---

(١) الفتر ــ بالكسر فالسكون ــ : ما بين طرف الابهام وطرف السبابة اذا فتحتهما.

(٢) سورة الرعد : (٢٩).

(٣) اليقين في امرة أمير المؤمنين : (٦٢).

«ليلة اسري بي الى السماء أدخلت الجنة فرأيت نوراً اضرب به وجهي، فقلت لجبرئيل: ما هذا النور الذي رأيته؟ قال: يامحمد ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر، ولكن جارية من جواري علي بن ابي طالب (ع) طلعت من قصورها (٤) فنظرت اليك وضحكت، فهذا النور خرج من فيها وهي تدور في الجنة الى ان يدخلها أمير المؤمنين (ع)» (٥)

و ينقل الحاكم الحافظ في اماليه وابو سعيد الواعظ في شرف المصطفى وابو عبد الله النطنزي في الخصائص باسانيدهم انه حدث زيد بن علي وهو آخذ بشعره (٦)، قال حدثني الحسين بن علي وهو آخذ بشعره، قال: حدثني علي بن ابي طالب وهو آخذ بشعره، قال: حدثني رسول الله (ص) وهو آخذ بشعره فقال:

«من آذى ابا حسن فقد آذاني حقاً، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله»

---

(٤) في المصدر: من قصرها.

(٥) اليقين في امرة امير المؤمنين: (٢٠) أو (٢١).

(٦) في المصدر بعد ذلك: قال حدثني علي بن الحسين وهو اخذ بشعره.

وفي رواية :

«ومن آذى الله لعنه الله ملء السموات وملء الارض»

الترمذي في الجامع وابو نعيم في الحلية والبخاري في الصحيح والموصلي في المسند واحمد في الفضائل والخطيب في الاربعين عن عمران بن الحصين وابن عباس و بريدة انه رغب علي (ع) من الغنائم في جارية ، فزايده حاطب بن ابي بلتعة و بريدة الاسلمي ، فلما بلغ قيمتها قيمة عدل في يومها اخذها بذلك ، فلما رجعوا وقف بريدة قدام الرسول (ص) وشكا من علي ، فاعرض عنه النبي (ص) ، ثم جاء عن يمينه وعن شماله ومن خلفه يشكو، فاعرض عنه ، ثم قام الى بين يديه فقالها ، فغضب النبي (ص) وتغير لونه وتربّد وجهه (٧) وانتفخت اوداجه وقال : مالك يابريدة ما آذيت رسول الله منذ اليوم ؟ أما سمعت الله تعالى يقول :

«ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً» (٨)

«أما علمت ان علياً مني وانا منه وان من آذى

---

(٧) تربد الرجل : تعبس ، تربد اللون تغير.

(٨) سورة الاحزاب : (٥٧).

عليـاً فـقـد آذاني ومن آذاني فقد اذى الله ومن أذى الله فـحـق على الله ان يـؤذيه بأليم عذابه في نـار جـهنم ؟ يابريدة انت أعلم ام الله أعلم ؟ ام قـرّاء اللّـوح المـحفوظ أعلم ؟ انت أعلم ام ملك الارحام أعلم ؟ انت أعلم يابريدة ام حفظة علي بن ابي طالب ؟»

قال : بل حفظته ، قال :

«وهـذا جـبـرئيل اخبرني عن حفظة علي انهم ما كـتـبـوا قط عليه خطيئة منذ ولد ، ثم حكىٰ عن مـلـك الارحـام وقراء اللوح المحفوظ (١) ــ وفيها ــ ما تريدون من علي ، ثلاث مرات»

(١) اي حـكى رسول الله (ص) عن ملك الارحام وقراء اللوح المحفوظ ان علياً لم يعص الله قط منذ خلق . ويمكن ان يكون فاعل (حكى) جبرئيل (ع).

الفهرس

● المقدمة ٥

■ الفصل الاول :

الأصل الكريم والميلاد المبارك ٩

■ الفصل الثاني :

حياته في عهد الرسول (ص) ٢٧

■ الفصل الثالث :

الامام يواجه المحنة ٥١

■ الفصل الرابع :

عهد امامته ١٠١

■ الفصل الخامس :

فضائله ومناقبه ١٦٩

■ الفصل السادس :

في فضائله على لسان النبي (ص) ١٨٩

-3316-

من هذا الكتاب

كانت التعبئة الروحية، أعظم قوة إعتمد عليها جيش الرسالة، وبالرغم من إنها صنعت بطولات نادرة، إلا إن حجمها كانت دون مستوى النصر النهائي، فلما إستمرت الحرب طويلا بدء المتخاذلون يتنامون في صفوف الجيش الرسالي، أما ومعاوية الذي لم يتورع عن التوسل بأية طريقة متينة لنيل النصر، فقد عرف كيف يستفيد من الصعوبات التي إزدادت في صفوف جيش الامام لم تكن أكثربة الجيش عند الامام في مستوى وهم الصراع الرسالي الجاهلي، وان الذي يطّلع على تأريخ صفين يتمزق ألماً كيف كانت حيل معاوية تنطلي عليهم وكيف إن الامام يستخدم براعته وبلاغته، وقوة شخصيته، وحضوره الدائم عند كل حادثة، بل وجولا ته الحربية المباشرة لكي يفشل خطط معاوية الماكرة.

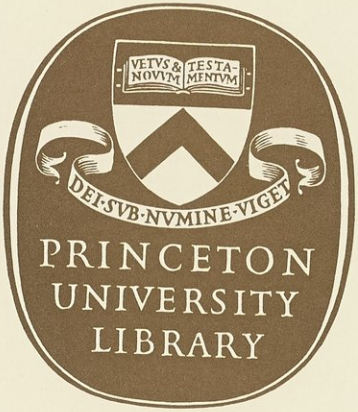

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Jan. - Mar. 1996
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 059526663